htm




من عظات
قداسة البابا شنوده الثالث
الوصايا العشر
٢
في المفهوم المسيحي

الوصايا العشر فى المفهوم المسيحى :

الكتاب الثانى

أكرم أباك وأمك

لقداسة البابا شنوده الثالث

Contempsations On The Ten Commandments
2- The 5th commandment.
by H.H. Pope Shenouda III

الطبعة الرابعة
القاهرة ١٩٨٠

4th reprint
Cairo 1980

تصـــدير

لم تكن الوصايا العشر ، وصايا خاصة بزمن موسى النبي ، ولا بالعهد القديم فقط ، إنما هى خاصة بكل جيل لأن السماء والأرض تزولان ، وحرف واحد من وصايا الله لا يزول (مت ٥ : ١٨) .

إنما المسيحية أعطت الوصايا العشر مفهوماً خاصاً ، يتفق مع السمو الذى فهمه المؤمنون فى العهد الجديد . و بقيت الوصايا ثابتة ، ولكن مفهومها يتسع ، حسب يمنح الله بنعمته مجالاً للتأمل . وما أصدق قول داود النبي :

« لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً »

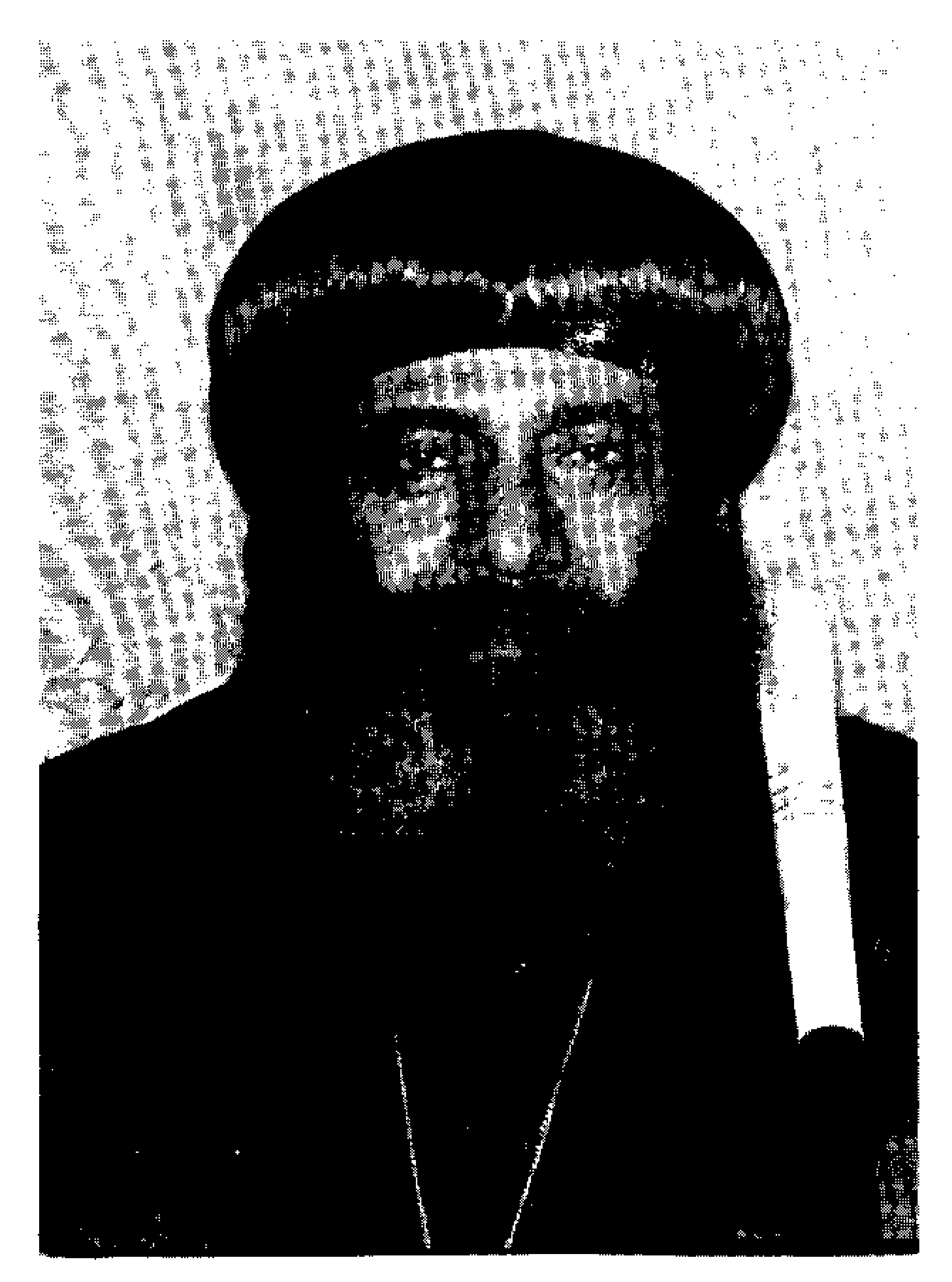
(مز ١١٨ : ٩٦)

وقد ألقيت هذه المحاضرات سنة ١٩٦٧ ، ونشرناها أكثر من مرة ، وها نحن نُعيد طبعها كما ألقيت وقتذاك .

شنوده الثالث

١٩٨٠/٧/١ (٢٤ بؤونة)

عيد القديس موسى الأسود



قداسة البابا شنوده الثالث

H.H. Pope Shenouda III

الوصية الخامسة

« اكـرم أباك وأمك ، لـكي تطول أيامك علـى الأرض التي يعطيك الرب الهك » •

(خروج ٢٠ : ١٢)

« اكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب الهك ، لـكي تطول أيامك ، ولـكي يـكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب الهك » •

(تثنية ٥ : ١٦)

الفصل الأول

الأبوة الطبيعية ، واحترام الأقارب الكبار

معنى الوصية الحرفى :

هذه الوصية الخامسة ، فى معناها الحرفى ، البدائى ، الأولى ، قبل أن يتسع نطاقها فى مفهوم البشرية ، وقبل أن تصل الى كمال فهمها فى المسيحية ، كان المقصود بها اكرام الوالدين اللذين أنجبا الابن بالجسد .

اتساع معناها ومفهومها :

ثم اتسعت حتى شملت الأقارب الجسديين الذين هم فى منزلة الأب والأم كالعم والخال والعمة والخالة ... ثم اتسعت حتى شملت كبار السن ، الذين هم من جهة سنهم فى منزلة الأب والأم ...

ثم اتسعت الوصية فى فهمها حتى شملت الأبوة الروحية ، وأصبحت تنطبق على الذين يهتمون برعاية أرواحنا وعقولنا كالكهنة والمعلمين ، كما شملت أيضا أبوة المركز ومن لهم علينا واجب الرعاية ...

وسنتكلم فى هذا الفصل الأول عن الأبوة الطبيعية ، على أن الكلام فيها سيضع قواعد عامة يمكن أن تندرج تحتها باقى الأبوات .

أهمية هذه الوصية

تظهر أهمية هذه الوصية فى أنها :

١ ـ أولى الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية :

هذه الوصية الخاصة باكرام الوالدين ، نجدها فى مقدمة وصايا اللوح الثانى ، قبل قول الرب : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ... الخ . وهذا الترتيب يعطينا فكرة عن خطورة هذه الوصية التى جعلها الرب أولى العلاقات البشرية .

تصوروا ان الرب لكى يعطينا فكرة عميقة عن اكرام الوالدين ، يقول «أكرم أباك وأمك» قبل أن يقول «لا تقتل» ، وقبل أن يقول « لا تزن » ، وقبل أن يقول : لا تسرق ولا تكذب ولا تشته . كأن الذى يخطىء بعدم اكرام والديه هو أكثر خطية ممن يرتكب جريمة قتل أو جريمة زنى أو جريمة سرقة ، وأكثر من الذى يشهد بالزور أو يشتهى ما لقريبه...

لقد وضع هذه الوصية فى المقدمة حتى لا نستهين بها .
قد يقشعر البعض منا من جريمة القتل ، ويقول : « حاشا لى أن أقتل . اننى لست مجرما » . ولكن الله قال « اكرم أباك وأمك » قبل أن يقول « لا تقتل » . وهكذا بين لنا مقدار الجرم الذى يرتكبه الانسان اذا لم يكرم والديه .

يزيد في قيمة هذه الوصية أيضا انها :

٢ - أول وصية مقترنة بمكافأة :

قال بولس الرسول « اكرم أباك وأمك ، التى هى أول وصية بوعد ... » (١) . وما هو ذلك الوعد الذى وعد به الله من يكرم والديه ؟ انها بركة مزدوجة : لكى تطول أيامك على الأرض ، ولكى يكون لك خير (٢) .

وعكس هذا صحيح . فالذى لا يكرم والديه ، يحدث له عكس هذه البركة ، فتكون أيامه قليلة ، وردية ...

يعقوب أبو الآباء ، الذى استغل عمى أبيه ، وخدعه ، وأخذ بركته بمكر ، نراه يثبت لنا هذه القاعدة عندما قال لفرعون « قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ الى أيام سنى حياة آبائى » (٣) .

ان هذا ولا شك يرشدنا الى نقطة أخرى تؤكد أهمية هذه الوصية ، وهى عقوبة الموت لمن يكسرها :

٣ - من لا يكرم والديه عقوبته القتل واللعنة :

ان كسر هذه الوصية ، كانت عقوبته الموت . وفى ذلك تقول الشريعة « من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ...

---

(١) أف ٦ : ٢ (٢) أف ٦ : ٣ ، تث ٥ : ١٦

(٣) تك ٤٧ : ٩

ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا » (٤) •

ويؤكد الرب هذه العقوبة الحازمة بقوله فى موضع آخر « **كل انسان سب أباه أو أمه ، فانه يقتل • قد سب أباه أو أمه ، دمه عليه** » (٥) •

ولعله الى هذه الوصايا أشار السيد المسيح عندما قال للكتبة والفريسيين « لأن موسى قال : اكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا » (٦) •

ان الأب والأم ليسا مثل الأشخاص العاديين • فان شتم انسان شخصا عاديا ، لا تكون عقوبته الموت • وانما من الجائز أن يقدم للمجمع ، ومن الجائز أن ينتهى الأمر بالصلح• أما ان شتم أباه أو أمه ، فان عقوبته تكون القتل ، فيموت موتا • • •

وبالاضافة الى عقوبة الموت ، كان من يسب أباه أو أمه تتبعه اللعنة أيضا • وفى ذلك يقول الكتاب « من سب أباه أو أمه ينطفىء سراجه فى حدقة الظلام » (٧)

ولم تكن عقوبة القتل قاصرة على من يضرب أبويه أو يشتمهما ، وانما كانت أيضا للابن المعاند غير المطيع •

وفى ذلك يقول الرب فى سفر التثنية « ان كان لرجل ابن معاند ومارد ، ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ،

---

(٤) خر ٢١ : ١٥ ، ١٧ (٥) لا ٢٠ : ٩

(٦) مر ٧ : ١٠ (٧) أم ٢٠ : ٢٠

ويؤدبانه فلا يسمع لهما : يمسكه أبوه وأمه ، ويأتيان به الى شيوخ مدينته والى باب مكانه • ويقولان لشيوخ مدينته : ابننا هـذا معـاند ومارد ، ولا يسـمع لقولنا ، وهو مسرف وسكير • فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فتنزع الشر من بينكم » (٨) •

وكانت اللعنـة عقوبة من يسـتخف بأبيـه أو أمه ، أى يستهزىء بهما أو لا يقابلهما بما يليق من الاحترام والتوقير •

على جبل عيبال ، كان يقف اللاويون ، ويصرخون بصوت عال « ملعون من يسـتخف بأبيـه أو أمه » • فيقول جميع الشعب « آمين » (٩)

ويقول الكتاب أيضا « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة اطاعةأمها ، تقورها غربان الوادى،وتأكلها فراخ النسر » (١٠)

ان لعنة كنعان بن حام تعطينا فـكرة دقيقـة عن عقوبة عدم اكرام الوالدين • فماذا كان سبب تلك اللعنة الخطيرة ؟

لم يحدث أن حام عصى أباه أو ضربه أو سبه أو تكلم عليه بالشر • انما كل ما فى الأمر أنه أبصر أباه نوحا ـ وهـو سكران وعريان ـ فلم يغطه ، بل نظر وأخبر اخوته (١١) • وبسبب هـذا أصـابت اللعنـة نسله من الكنعانيين آلافا من السنين •••

---

(٨) تث ٢١ : ١٨ ـ ٢١ (٩) تث ٢٧ : ١٦

(١٠) أم ٣٠ : ١٧ (١١) تك ٩ : ٢٠ ـ ٢٦

حتى ان السيد المسيح نفسه ، المسيح اللطيف الرقيق ، الذى كل كلامه يمتزج بالرقة والشفقة والحنو ، نراه فى حديثه مع المرأة الكنعانية قد أكد هذه اللعنة بقوله للمرأة « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » (١٢) · « للكلاب » ؟! كلمة شديدة ولا شك ، يزيدها شدة انها صادرة من فم المسيح الطيب الحنون ، وموجهة الى امرأة مسكينة تطلب شفاء ابنتها ···

ولكن هذه الشدة تثبت أن الرب قد صدق على اللعنة التى لعن بها نوح نسل ابنه حام ، وبالتالى تعطينا فكرة عن أهمية اكرام الوالدين ، وكيف انها ليست خطية هينة أن يستخف أحد بأبيه أو أمه ··

ونلاحظ أنه فى نفس الوقت الذى لعن فيه نسل حام من الكنعانيين ، بورك سام ويافث ، لأنهما لما سمعا أن أباهما عريان « أخذا الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا الى الوراء ، وسترا عورة أبيهما » دون أن ينصرا عريه ···

ان وصية اكرام الوالدين ، يوضح أهميتها أيضا :

٤ ـ المقام الكبير الذى للأب :

الأب هو رئيس الأسرة كلها ، ليس للأولاد فقط وانما لأمهم أيضا ، لأن « الرجل هو رأس المرأة » (١٣) · وفى

(١٢) متى ١٥ : ٢٦ (١٣) ١كو ١١ : ٣

النظام القبلي قديما ، كان الأب هو حاكم الأسرة ، وكان الأب الكبير أو الجد هو حاكم العشيرة ، وهو قاضيها أيضا • فكان يجمع بين الرئاسة الطبيعية والرئاسة المدنية في نفس الوقت •

وكان الأب أيضا هو كاهن الأسرة وشفيعها عند الله •
ولما جاءت شريعة موسى ، خصصت الكهنوت في بنى هرون ولكن قبل شريعة موسى ، كان الأب هو كاهن الأسرة • نسمع أن أيوب الصديق مثلا كان يقدم محرقات عن أولاده ، على عددهم كلهم ، لأنه قال « ربما أخطأ أبنائي وجدفوا على الله في قلوبهم » (١٤) • وهكذا كان شفيعهم ووسيطهم عند الله ••• وبالمثل كان نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ، وكل أولئك الذين نسميهم « الآباء البطاركة » أي رؤساء الآباء •••

وكانت بركة الأب شيئا عظيما ، يسعى اليه الابن ، ويطلبه بدموع وبكافة الطرق • ومن يباركه الأب ، يباركه الله •••

وهكذا نسمع مثلا ان اسحق بارك يعقوب • ومع أن يعقوب سعى الى تلك البركة بخدعة ومكر ، الا أن بركة أبيه له قد ثبتت ، واعتمدها الله نفسه ، وبارك الله يعقوب الذى باركه أبوه اسحق (١٥) • وهكذا أيضا نرى عيسو الجبار ، يبكي بمرارة ودموع طالبا بركة أبيه (١٦) •

---

(١٤) أيوب ١ : ٥
(١٥) تك ٢٨ : ١ ، ١٤
(١٦) تك ٢٧ : ٣٨

وكما كان الله يعتمد بركة الأب ، كان يعتمد لعنته أيضا .

وقد رأينا مثلا لهذا فى لعنة نوح لكنعان ، ثلاث مرات يصب عليه لعنة العبودية . فقال « ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته » ثم قال « مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدا لهم » (١٧) . وهذه العبودية التى كررها نوح ثلاث مرات فى لعنته لكنعان ، قد وافق عليها السيد الرب فى حديثه مع المرأة الكنعانية كما سبق وقلنا ...

وبنفس الوضع اعتمد الرب كل البركات والأحكام التى قالها يعقوب أبو الآباء لأبنائه فتمت كما هى (١٨) .

ومن الأدلة الكبيرة على أهمية مركز الوالدين ، أن

٥ ـ الله شبه محبته بحنو الأب والأم :

عندما أراد الرب الهنا أن يبين عمق صلته بنا ، وعمق محبته لنا ، شبه علاقته بنا بحنو الأب وحنو الأم .

ان الله هو سيد الخليقة كلها ، كلها صنعة يديه ، وكلها خاضعة لسلطانه ، وكثيرا ما ندعوه ربا ، وهو كذلك ...

ولكن الهنا الحنون يفضل لقب الأب لدلالته على الحب والحنان .

---

(١٧) تك ٩ : ٢٥ ـ ٢٧

(١٨) تك ٤٩

وهكذا عندما علمنا مخلصنا الصالح الصلاة الربية ، لم يطلب الينا أن نوجهها الى سيدنا الخالق الحاكم ، انما أمرنا أن نقول « أبانا الذى فى السموات » •

وما أكثر آيات العهد الجديد التى تدل على أبوة الله ، والتى تحمل معنى محبته واشفاقه •••

عندما تحدث ربنا يسوع المسيح عن احتياجاتنا ، قال « لا تهتموا ••• لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها » (١٩) « فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيراته للذين يسألونه » (٢٠) • وفى حديثه عن الملكوت قال لنا « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (٢١) • وفى حديثه عن عمل الخير فى الخفاء ، كرر أكثر من مرة عبارة « أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (٢٢) ••• ما أكثر الآيات التى تدل على أبوة الله لنا ، ليس من السهل أن نحصيها •

هذه الأبوة ليست شيئا جديدا من تعاليم العهد الجديد ، انما أمر واضح منذ البدء ، من الأصحاحات الاولى لسفر التكوين •

ان قصة الطوفان تبدأ بهذه المقدمة « ان أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات » (٢٣) • وهكذا نرى أن الله ــ فى

---

(١٩) متى ٦ : ٣١ ، ٣٢ (٢٠) متى ٧ : ١١
(٢١) لوقا ١٢ : ٣٢ (٢٢) متى ٦ : ٦
(٢٣) تك ٦ : ٢

أبوته العجيبة — لم يستنكف أن يدعو البشر أولاده ، حتى وهم فى عمق الخطية ٠

واحس أنبياء العهد القديم أبوة الله ، فخاطبوه قائلين « **فانك أنت أبونا** ••• أنت يارب أبونا ، ولينا ، منذ الأبد اسمك » (٢٤) « والآن أنت يارب أبونا ، نحن الطين وأنت جابلنا » (٢٥) ٠

وبهذا كله رفع الله شأن الأبوة ، اذ دعا نفسه ابا لنا ٠ وكذلك شبه محبته بحنان الأم ، اذ قال معاتبا أورشليم قائلا « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا » (٢٦) ٠ وهنا يشبه محبته بالدجاجة الأم فى حنوها على فراخها ٠ بل يقول الرب ان حنانه أكثر من حنان الأم التى لايمكن أن تنسى رضيعها (٢٧)٠

ان كان الله فى حنانه هو أبونا ، فان الكنيسة هى أمنا٠ وكلنا أبناء الكنيسة ، تمخض بنا الرسل (٢٨) ، وولدتنا الكنيسة الأم فى جرن المعمودية ، وغذتنا لبن التعليم السليم ،وعشنا فى أحضانها هذا الزمن كله نتمتع برعايتها وحبها٠٠٠

لذلك نضع فوق كل محبة ، وفوق كل أبوة وأمومة :

أبوة الله ، وأمومة الكنيسة

---

(٢٤) أش ٦٣ : ١٦
(٢٥) أش ٦٤ : ٨
(٢٦) متى ٢٣ : ٣٧
(٢٧) أش ٤٩ : ١٥
(٢٨) غل ٤ : ١٩

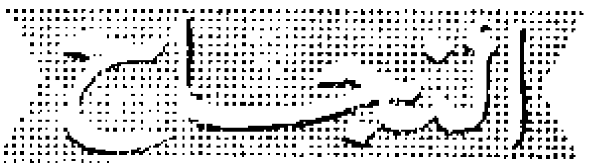
الفصل الثانى

كيف نكرم الآباء ؟

قد يقول كل واحد منا : أنا مقتنع بخطورة هذه الوصية، وبوجوب اكرام الوالدين · ولكن كيف أكرم والدى ؟

ان اكرام الوالدين يستوجب المحبة ، والطاعة ، والاحترام ، والعرفان بالجميل ، والاعالة ·

وهناك عنصر يضاف الى هذا كله ، وسنبدأ به ، وهو النجاح ·



لا شك ان النجاح فى الحياة هو لون من ألوان اكرام الوالدين . ان نجاحك يشرف اباك ويشرف أمك ويفرح قلبيهما وصدق الكتاب عندما قال « **الابن الحكيم يسر اباه ، والابن الجاهل حزن امه** » (٢٩) · وقال أيضا « أبو الصديق يبتهج ابتهاجا ، ومن ولد حكيما يسر به » (٣٠) ·

---

(٢٩) أم ١٠ : ١ (٣٠) أم ٢٣ : ٢٤ .

اذا ذاكرت دروسك جيدا ، ونجحت وتفوقت ، اذا كنت أمينا في عملك ونلت ثقة ومحبة رؤسائك ، اذا كنت انسانا ناجحا فى [illegible]تك طيبة واسمك حلو فى أفواه الناس ، فانك بهذا النجاح تكرم أباك وأمك ، لانهما يبتهجان ويفتخران بنجاحك .

أما ان كنت فاشلا فى حياتك ، فان أباك لا يعرف أين يخفى وجهه ، وكذلك أمك تخجل من فشلك . وان أتت سيرتك فى حضورهما أمام الناس ، يضع كل منهما وجهه فى الأرض . صدق الكتاب عندما قال «**الابن الجاهل غم لأبيه ، ومرارة للتى ولدته** » (٣١) ، « من ولد جاهلا فلخزيه ، ولا يفرح أبو الأحمق » (٣٢) . بل ان الكتاب يقول أكثر من هذا « الابن الجاهل مصيبة على أبيه » (٣٣) .

ما أكثر الأمهات فى التاريخ اللائى فرحن بأولادهن الناجحين ...

حنة فرحت بابنها صموئيل . ويوسف الناجح كان سبب فرح لأبيه . وأكثر من الكل مريم العذراء فرحت بابنها يسوع الذى « كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (٣٤) . لقد أكرمها ابنها بسبب حياته المثالية التى كانت اعجاب الجميع .

---

(٣١) أم ١٧ : ٢٥
(٣٢) أم ١٧ : ٢١
(٣٣) أم ١٩ : ٢٣
(٣٤) لو ٢ : ٥٢

وعلى العكس من كل هذا ، كان الأبناء الضالون والفاشلون .
عيسو يقول عنه الكتاب انه كان سبب « مرارة نفس لاسحق ورفقة » (٣٥) . وأوغسطينوس في ضلاله [illegible] ينبوع دموع مرة لأمه القديسه مونيكا .

اذن أيها الأحباء ، كونوا ناجحين في حياتكم ، لكي يفرح آباؤكم بكم وتكرموا آباءكم بنجاحكم .

نقطة أخرى في اكرام الوالدين ، وهي العرفان بالجميل .



لابد أن تعرف جميل أبيك وأمك عليك .. لا أريد أن أنصح بقراءة كتاب طبي أو نفسي ، لكي تدرك حالة الأم وقت الحمل ، تلك التي حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وتعبت من أجلك كثيرا ..

ويكفي أنها من أجلك لم تدخل الكنيسة طول مدة نفاسها ، وبعضا من فترات حبلها . يضاف الى هذا التعب الذي تعبته من أجلك وأنت رضيع ، وأنت طفل صغير ، في رضاعك ، في بكائك ، في نظافتك ، في حملك على حجرها وعلى صدرها وعلى كتفها . لا شك ان الطفل الرضيع يمكن أن يجعل أمه أحيانا لا تستطيع أن تذوق النوم ...

---

(٣٥) تك ٢٦ : ٣٥

تأكـد أن أمـك لو كانت قد قصرت فى العنايـة بك ، لأصابتك أضرار وأخطار لا تدخل تحت حصر ·· ان جميل الأم لا يمكن أن ينساه انسان ···

من الجـائز أن يقول انسان « صحيح ان أمى تعبت فى تربيتى زمان ، لكن دلوقت مكفرة سيئاتى » ··· حتى هذا أيضا لا يجعلك تنسى جميلها · أمك تشيلك وأنت صغير ، وأنت تشيلها لما تكبر ، يعنى تحتملها ···

لا تنسى أيضا جميل أبيك عليك ، ذلك الذى تعب وكافح من أجل تربيتك ، وقام بجميع مصروفاتك ، وأنفق عليك من عرقه ومن دمه · وكان من يمسك كأنه يمس حدقة عينة ·

ولا يكن عرفانك بالجميل من جهته قاصرا على تعبه ماديا ن أجلك ، وانما عرفانك أيضا بالجميل من جهة ما أغدقه عيك من حب وحنان ، وما حباك به من عاطفة ·

ولكى ندرك اهمية هذه العواطف ، يكفى أن نتأمل كيف ان كثيرا من الذين حـرموا من حنان الأبوة وحنان الأمومة ، وقوا فى أزمات نفسية خطيرة ومشاكل صعبة ···

ان كانت أمك تتعبك الآن أحيانا ، لأســباب معينة ، فلا يصح أن تنسى لها الماضى الطويل الجميل · وتأكد انك لو ابلت عطفها الماضى بقليل من عطفك حاليا ، فانها سوف لا تنى لك هذه العاطفة ، وستصل بها الى أعماق قلبها ···

! أقسى عـلى النفس أن تتعب أم دهرا طويلا بوليـدها الصغ ، حتى اذا شب وكبر ، تركها وكأنه لا يعرفها ···!!

نقطة ثالثة فى اكرام الوالدين ، وهى الاعالة ٠



الإعالة

يجب أن يعتنى الانسان بوالديه ، يعولهما ويهتم بهما ، ولا سيما فى فترات الشيخوخة أو الضعف أو المرض أو العوز ٠

لقد وبخ السيد المسيح جماعة الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقصرون فى اكرام الوالدين بحجة تقديم قربان للهيكل. فقال لهم « وأنتم لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم فان الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أبا أو أما موتا يموت ٠ وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه « قربان هو الذى تنتفع به منى » ، فلا يكرم أباه أو أمه !! فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (٣٦) ٠ وهكذا أظهر السيد الرب ان اكرامك أباك وأمك بمالك ـ حين يحتاجان اليك ، أهم من تقديمه قربانا للمذبح ٠

وهناك آية قوية جدا تتعلق بهذا الموضوع وردت فى رسالة بولس الرسول الأولى الى تلميذه تيموثيئوس اذ يقول: **« ان كان أحد لا يعتنى بخاصته ـ ولا سيما أهل بيته . فقد أنكر الايمان ، وهو شر من غير المؤمن » (٣٧) ٠**

---

(٣٦) متى ١٥ : ٣ ـ ٦ (٣٧) ١ تى ٥ : ٨

اذن . فكما أهتم بك والداك فى صغرك ، يجب أن تهتم بهما عندما يكبران • خاصة أن الأب كلما تمر به الأيام ، تزيد أعباؤه • كان عنده قديما طفل أو طفلان • أما الآن ، فقد كثر أولاده ، وأصبح عنده مثلا أبناء فى الجامعة ، وبنات يستعد لتجهيزهن للزواج •••

واذ كثرت النفقات ، ينبغى أن يتعاون كل أفراد الأسرة من أجل القيام بمصروفات البيت • **ولست اقصد بهذا التعاون انه كلما يتوظف ابن جديد تزداد العناصر الترفيهية فى البيت، ويكثر شراء الكماليات** وأمور ليس فقط لا لزوم لها ، بل قد تكون سببا لخطية • انما نقصد بالاعالة الاهتمام الحقيقى بحاجيات الوالدين وحاجيات الأسرة ، برا بهم ، وردا للجميل الكبير الذى لاقاه الابن فى تربيته والعناية به حتى أصبح ذا مورد وايراد •

، السيد المسيح ـ حتى وهو على الصليب ـ لم ينس أمه، فعهد بها الى تلميذه يوحنا الحبيب ، وقال له « هوذا أمك » • ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته (٣٨) • فمن الواجب اذن أن يعتنى الابن بوالديه ويعولهما •

فى سنى الجوع لم ينس يوسف الصديق أباه وهو فى أرض بعيدة ، بل أرسل اليه يقول « هكذا يقول ابنك يوسف: انزل الى لا تقف • فتسكن فى أرض جاسان ، وتكون قريبا

(٣٨) يو ١٩ : ٢٧

منى أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك • وأعولك هناك ، لأنه يكون أيضا خمس سنين جوعا ، لئلا تفتقر ..»(٣٩)

قصــــة :

سمعت قصة وأنا فتى صغير ، تروى أن رجلا كان له أب عجوز ، وكان يعتنى به • ولكن هذا الأب نظرا لشيخوخته كانت تقع منه أطباق الأكل أحيانا فتنكسر • فضاق به ابنه وصنع له أطباقا من خشب حتى لا تنكسر ، وكان يضع له فيها طعامه •

وكان لهذا الرجل ابن صغير [حفيد للأب العجوز • وكان يذهب أحيانا الى جده فيجده يأكل فى اطباق من خشب. فسأله أباه عن السبب • ولما عرفه قال لأبيه فى بساطة « حافظ يا بابا على الطبق الخشب دا كويس ، علشان لما تكبر وتبقى زى جدى ، أبقى أحط لك الأكل فيه » !! لقد ظن هذا الطفل أن هذا هو النظام المتبع مع الكبار •••

حقا انه حسبما يكرم الانسان والديه ، سيكرمه ابناؤه فيما بعد •

قصــة اخرى :

قرأت قصة أخرى مؤداها أنه فى احدى المرات غز جيش الأعداء بلدا من البلاد وقتل الجنود كل من فيها • وكـ هناك فى تلك البلدة اثنان من الشبان على معرفة بقائد الجيش الذى غزا المدينة • وكانا قد فعلا معه جميلا من قبل أرادان يرده

(٣٩) تك ٤٥ : ٩ ـ ١١

لهما . فقال لهما « احملا اثمن ما عندكما واهربا من البلد بسرعة ، وأنا اضمن سلامتكما » .

فدخل الشابان الى بيتهما ليحملا اثمن ما عندهما . فحمل الشاب أباه ، وحمل الشاب الثانى أمه ، وتركا المدينة . كان هذان الوالدان هما اثمن مـا عندهما فى هذه الدنيا كلها .

المحبة والاحترام

أول محبة يمارسها الانسان هى محبته لأمه ، ثم محبته لأبيه . وهى محبة طبيعية لا يبذل مجهودا فى اقتنائها ، ولا تحتاج الى مجهود فى المحافظة عليها . وهى أيضا محبة متبادلة . وأى انحراف عن هذه المحبة ، هو شذوذ غير طبيعى ...

هذه المحبة لها عنصر ايجابى وعنصر سلبى .

أما العنصر الايجابى فهو عاطفة الحب التى يظهرها الابن نحو أبيه وأمه ، وبذل كل ما يستطيع من جهد فى اراحتهما وارضائهما وكسب بركتهما ورضاهما . ويستمر هذا الحب وهذا الارضاء طول الحياة . وحتى بعد انتقالهما الى العالم الآخر ، يقيم الصلوات والقداسات عنهما ، وينفذ وصيتهما على قدر ما يستطيع .

وأما العنصر السلبى ، فهو أن الابن لا يصح أن يغضب أحدا من والديه أو يثيره ، أو يعامله ببغضة أو بقسوة ، أو يتجاهل رأيه . ولا يصح للأبن ان يرهق والديه بكثرة الطلبات وخاصة بما هو فوق طاقتهما . ولا يصح أن يبدد مالهما ، أو أن يضيع سمعة الأسرة بسلوكه فى الفساد . وأكثر عقوق يصل اليه الابن هو أن يتمنى الشر أو الموت لأحد من والديه ...

لقد أمر الكتاب بقتل من ضرب أو شتم أبا أو أما . كما لعن من يستخف بأبيه أو أمه .

والاستخفاف فيه عدم احترام للوالدين .

ومن أمثلته أن يعامل الابن والديه على نفس المستوى ... كأنه وهما فى درجة واحدة . يعنى الكلمة ترد بكلمة ، والمناقشة تقابلها مناقشة ، والزعل يقابل بزعل ، والصوت العالى يرد عليه بصوت عالى . كأن ما فيش فرق ... دا كلام يحدث بين اثنين متساويين ، وعلى مستوى غير روحى . وقطعا هذا لا يليق .

ينبغى على الابن أن يجعل نفسه فى الدرجة الأقل . يعنى من حق أبيه أن يشخط فيه . وهو لا يرد على هذا الشخط ، بل يسمع ويسكت . ان رفع أبوه صوته ، أو رفعت أمه صوتها ، لا يرفع هو صوته فى مستوى صوت أبيه أو أمه . ان عمل كده يبقى غلطان . ليس هذا هو أدب الحديث مع الأب أو الأم ، وليس من الاحترام أن تعامل أيا منهما على نفس مستواك ...

انني عشت في بيت أخي الأكبر ومعي أخي الأوسط • وصدقوني انه طوال الثلاثين سنة التي عشتها معهما قبل أن اترهب ، **لم يحدث في يوم من الأيام انني ناديت واحدا منهما باسمه المجرد** • وكنت في كثير من الاحيان عندما أحب أن أنادي واحدا منهما ، اذهب الى عنده وأكلمه ، دون أن أنادي عليه من بعيد • كنت أخجل من هذا ، لأنهما أكبر مني ، ويجب أن احترمهما •

فان كان هذا مع الأخ الأكبر ، فكم بالأولى الوالدين ؟

ومن علامات احترام الوالدين خدمتهما في كل ما يحتاجان اليه • ولا أقصد بالخدمة مجرد أن تطيع عندما يطلب منك أبوك مثلا أي طلب • طبعا هذا واجب ، ولكنني أقصد أكثر من هذا ••• ان الابن الحكيم ينظر من تلقاء نفسه ما هو احتياج أبيه وما هو احتياج أمه ، ويخدمهما دون أن يطلبا منه ، في كل ناحية •

مثال ذلك : وجدت والدك واقفا ومتعبا ، لا تنتظر أن يطلب منك احضار كرسي ليجلس ، بل اذهب من تلقاء نفسك واحضره ، وقل له : تفضل يا أبي واسترح • كنت جالسا مثلا الى المائدة ، ووجدت صنفا ينقص أباك ، احضره له وضعه أمامه • وجدت كوب الماء الذي أمامه فارغا ، املأه له • وجدت أمك مثلا متعبة في العمل ، تقدم وساعدها • لا تنتظر الى أن تطلب منك • لا تجلس مثلا الى المائدة منتظرا حتى تضع والدتك الطعام أمامك ، وانما اذهب واحضره معها • وفي نهاية الأكل أرفع معها بقايا الطعام وساعدها •

اخدم أباك وأمك واحترمهما • ولا تظن انك بهذا تنقص درجة • بالعكس ، انك تزيد وترتفع فى نظرهما وفى نظر الكل وأمام الله نفسه •

امثلة من الكتاب :

انظروا سليمان الحكيم مثلا وهو ملك جالس على عرشه ، جاءت اليه والدته • فماذا فعل سليمان ؟ يقول الكتاب « فقام الملك للقائها ، وسجد لها ، وجلس على كرسيه ، ووضع كرسيا لأم الملك فجلست عن يمينه » (٤٠) •

ان سليمان الملك عندما قام عن عرشه وسجد لأمه ، لم ينقص درجة بل زاد • أكثير اذن أن يقبل الشخص يد أبيه أو أمه ؟ أو أن يقبل يد الكاهن الذى هو الأب الروحى ؟

مثال آخر هو يوسف الصديق ، وكان هو نائب فرعون فى حكم مصر كلها ، خاتم فرعون فى يده ، وفى يده كل السلطة والنفوذ ، والناس يركعون أمامه (٤١) • بل قد صار « أبا لفرعون وسيدا لكل بيته » (٤٢) • **ومع كل هذه العظمة التى أحاطت بيوسف ، لم يستنكف من أبيه راعى الغنم ،** بل استقدمه الى مصر بمركبات أرسلها اليه • وشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال أبيه • وقدمه لفرعون ، ولم يستنكف أن يقول عن أبيه وأخوته أنهم رعاة مواش (٤٣) •

---

(٤٠) ١ مل ٢ : ١٩
(٤١) تك ٤١ : ٤٠ ـ ٤٣
(٤٢) تك ٤٥ : ٨
(٤٣) تك ٤٦ : ٣١

انه درس يقدمه يوسف الصديق لمن يتنكر لأبيه أو يستحى بسببه ، ان كان فقيرا ، أو جاهلا ، أو فى وظيفة بسيطة أو فيه عيب ما ...

يجب على الابن اذن أن يحترم أباه ويوقره ، ولا يستخف به، ولا يستهين برأيه ، **ولا يظن انه « دقة قديمة » ، وأنه من جيل قد مضت أيامه ليفسح الطريق للجيل الجديد (الصاعد) !.** ولا يصح أن يسخر من أحد والديه سواء بالكلام أو بالنظر أو بأية حركة ، ولو عن طريق المزاح . فهذا كله لا يليق **قال الكتاب « تهابون كل انسان أمه وأباه » (لا ١٩ : ٣)**

الطاعة والخضوع

أمثلة رائعة للطاعة :

الطاعة عنصر جوهرى هام فى أكرام الوالدين . قيل عن السيد المسيح انه اطاع الآب حتى الموت موت الصليب (٤٤) . **وفى تجسده على الأرض قيل انه كان خاضعا لمريم ويوسف(٤٥) خضع لمريم لأنها كانت أمه ، وخضع ليوسف مع أنه لم يكن أباه بالجسد ، وانما كان بمنزلة الأب** ، من جهة الرعاية ، ولأنه زوج الأم وقد أعتبر أبا له من جهة العرف ، حتى أن مريم قالت لربنا يسوع عن يوسف « أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » (٤٦) .

---

(٤٤) فى ٢ : ٨ (٤٥) لو ٢ : ٥١ (٤٦) لو ٢ : ٤٨

ان خضوع الرب لمريم ويوسف هو درس عظيم نافع لنا. **لقد خضع لهما هذا الذى تخضع له الملائكة ورؤساء الملائكة !** الذى تجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (٤٧) . ان الرب يرينا بنفسه الى أى حد يجب أن تنفذ الوصية الخامسة .

ومن الأمثلة الرائعة فى الكتاب المقدس لطاعة الوالدين ، مثال اسحق مع ابيه ابراهيم ، حيث أسلم نفسه لأبيه ليقدمه محرقة للرب . ومن أمثلة هذا الخضوع العجيب أيضا **ما فعلته ابنة يفتاح الجلعادى** ، التى أسلمت نفسها لأبيها ليتمم فيها نذره (مع انه نذر خاطىء) . فقدمها أبوها محرقة للرب (٤٨).

ومن أمثلة الطاعة التى رواها الكتاب فى أعجاب ، وبكت بها الرب عدم طاعة بنى اسرائيل له ، **مثال طاعة بنى ركاب لأبيهم** الذى كان قد أوصاهم قائلا « لا تشربوا خمرا أنتم ولا بنوكم الى الأبد . ولا تبنوا بيتا ، ولا تزرعوا زرعا ، ولا تغرسوا كرما ، ولا تكن لكم . بل اسكنوا فى الخيام كل أيامكم » (٤٩) . وقد سر الرب كثيرا بطاعة بنى ركاب لأبيهم، وقال لهم « من أجل انكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم ، وحفظتم كل وصاياه وعملتم حسب كل ما أوصاكم به ، لذلك ... لا ينقطع ليوناداب بن ركاب انسان يقف أمامى كل الأيام » (٥٠) .

---

(٤٧) فى ٢ : ١٠ (٤٨) قض ١١ : ٣٠ ــ ٤٠
(٤٩) أر ٣٥ : ٦ ــ ١٠ (٥٠) أر ٣٥ : ١٨ ، ١٩

نعم ، ما أجمل الطاعة للوالدين . لذلك يوصينا الكتاب بها قائلا « **اسمع يا بنى تاديب ابيك ، ولا ترفض شريعة** أمك » (٥١) .

نعم ، ما أجمل الطاعة ، وما أجمل الخضوع . انهما ثمرتان من ثمار الاتضاع ، ومن ثمار التأدب . وهما دليلان على الوداعة والمحبة ...

وفى الطاعة أيضا نكران للذات ، وجحود للمشيئة الخاصة.

ولا شك أن الطاعة تكبر وتعظم كلما أطاع الانسان فيما هو ضد مشيئته ، وأخضع مشيئته لغيره .

ومن الكلمات الجملية فى الطاعة ، قول السيد المسيح له المجد « لأني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (٥٢) .

عناصر الطاعة :

من المفروض اذن فى الابن أن يطيع والديه : طاعة قلبية عن حب ورغبة في الارضاء ، وطاعة حقيقية ليست ظاهرية ، وطاعة عن رضى بغير تذمر ، وطاعة سريعة بغير تلكؤ ، طاعة فى غيبتهم وفى حضورهم . وأخيرا طاعة فى الرب .

أ ـ طاعة حقيقية :

يجب على الابن أن يطيع والديه ، ليس مجرد الطاعة لكلامهم فقط ، وانما لمشاعرهم الداخلية ، طاعة تهدف لارضاء قلبهم ، حتى ان قالوا كلاما باللسان غير ما يحبونه .

(٥١) أم ١ : ٨ و ٦ : ٢٠ و ٢٣ : ٢٢ (٥٢) يو ٦ : ٣٨

قصة : ومثال ذلك قصة قرأتها عن طفل صغير ، انه كان يريد أن يذهب الى حفلة معينة مع زملائه • فطلب من والدته أن تأذن له بالذهاب ، فرفضت وقالت له «لا تذهب» . فتضايق الطفل لأنه كان يريد أن يحضر الحفلة • ولما رأت أمه أنه حزن وتضايق ، سمحت له أن يذهب على مضض منها • ولكن هذا الطفل فكر فى الأمر • وقال فى نفسه « ان والدتى غير مستريحة لذهابى ، وهى من أجل ارضائى فقط سمحت لى ، ولكنها غير مستريحة فى قلبها من الداخل • ومعنى هذا اننى لو ذهبت فسأحزن قلبها ، فالأفضل انى لا أذهب » . وأخيرا فان هذا الطفل المطيع منع نفسه من تحقيق رغبته ، محبة فى والدته ورغبة فى ارضاء قلبها • ولم يقتنع ضميره بتلك الموافقة الظاهرية التى حصل عليها ••

انه درس لنا • لانه قد يوجد ابن يريد أن يطيع والديه شكليا • فان رفضا له طلبا ، يظل يضغط ويلح ، ويضغط ويلح ، وقد يتضايق وقد يحزن حتى يسمع كلمة « خلاص وافقنا » . ويأخذ كلمة « وافقنا » ، ويروح لاقطها بسرعة قبل ما يرجعوا فى كلامهم • ويسمح لنفسه أن يفتخر بعد ذلك ويقول « أنا عمرى ما خالفت !! أنا أخذت الموافقة » ! •

صحيح انها موافقة ، ولكنها أتت عن طريق الضغط •

انها مجرد موافقة لسان ، ولكن القلب غير موافق من الداخل والمفروض فى طاعة الوالدين ، انها تكون طاعة حقيقية غير شكلية ، يكسب فيها الابن رضى والديه وموافقتهما القلبية •

ب ـ طاعة سريعة :

يجب أن تكون الطاعة أيضا بسرعة ، بغير تباطؤ، ولاتلكؤ، ولا تأخير . مافيش كلمة « طيب بعدين ، طيب كمان شوية ، بكره ان شاء الله » ... هذا الكلام لا ينفع .

الابن البار هو الذى يطيع بسرعة . ما أن تخرج الكلمة من فم أحد والديه ، حتى توضع مباشرة موضع التنفيذ . ان فعل الابن هكذا، لابد أن يحصل على محبة والديه وينال البركة والدعاء ...

قصة من البستان : توجد قصة لطيفة فى بستان الرهبان عن الطاعة : قيل مرة لأحد الشيوخ « لماذا تحب ابنك الروحى فلان أكثر من الباقين وتفضله عليهم ؟ » . فأجاب سائليه « انتظروا ، وانظروا » . ثم نادى على تلاميذه طالبا شيئا . فتباطأ الكل فى التنفيذ . أما هذا الابن ، فانه كان جالسا يكتب . فلما سمع نداء أبيه الروحى ، قام بسرعة ، لدرجة انه لم يكمل كتابة الحرف الذى وصل اليه عند سماعه صوت معلمه . ولما رأى الناس ذلك اندهشوا ...

هذه الطاعة السريعة نجدها واضحة أيضا فى العسكرية . لابد للجندى أن يطيع بسرعة ، بغير تأخير ولا تباطؤ . ولعل هذه هى الفضائل التى يحصل عليها من تدرب فترة فى الجيش .

ج ـ طاعة فى غيابهما :

والطاعة الخالصة التى تهدف الى نوال رضى الوالدين تكون فى غيابهما كما فى حضورهما .

قصة : يحكى عن أحد الشبان أن أتى إليه أصحابه يدعونه للذهاب معهم إلى مكان ما . فاعتذر قائلاً « لا أستطيع ، لأن والدى أمرنى بعدم الذهاب إلى

هناك » . فقالوا له : « لا تخف . تعال معنا ، وأبوك سوف لا يعلم » . فأجابهم « نعم ، يمكن أن أذهب دون أن يعلم أبى ، ودون أن يشعر أحد . ولكننى إن فعلت هذا ، فإنى عندما أرجع لا أستطيع أن أرفع عينى فى وجه أبى . سيملكنى شعور بالخجل منه لأنى خالفت كلامه » ..

(د) طاعة برضى :

ينبغى للطاعة الحقيقية أن تكون برضى القلب ، بدون تذمر ، هناك أولاد ينفذون الأمر ، ولكن بتذمر القلب وأحياناً بتذمر اللسان . يمشون فى الطريق وهم يكلمون أنفسهم **ويتلفظون بعبارات احتجاج وسخط عن هذا الأمر الذى ينفذونه.** هؤلاء يطيعون طاعة آلية ، عن غير رغبة ، وعن غير حب . وقد ينفذون الأمر الذى صدر إليهم دون أن يكسبوا قلب الذى أمرهم ورضاه . وقد يكون تنفيذهم أحياناً عن خوف ، وليس عن حب وإكرام ...

وهناك من لا يطيعون الا بعد جدل شديد و نقاش عنيف. و كل أمر يصدر إليهم يتناولونه فحصاً وتحليلاً ، ويرهقون أعصاب من يأمرهم بكثرة النقاش ، لدرجة أن الأب قد يتنازل عن أمره من تعب النقاش ، أو يفضل عدم طلب شيء من مثل هذا الابن الكثير الجدال ...

ما اجمل قصة شجرة الطاعة ، التى فيها أمر ذلك الشيخ القديس تلميذه يوحنا بأن يغرس عصا ناشفة ويرويها كل يوم • وظل ذلك الابن المطيع يروى الخشبة ثلاث سنوات دون جدال أو نقاش ، على الرغم من غرابة الأمر الصادر اليه • ومن أجل ايمانه وطاعته ، أثمرت تلك العصا كما أفرخت عصا هارون ، وصارت شجرة دعيت (شجرة الطاعة) •

أخيرا هناك صفة أساسية فى الطاعة ، وهى أن تكون :

طاعة فى الرب

هكذا قال الرسول «أيها الأولاد أطيعوا والديكم فىالرب، لأن هذا حق » (٥٣) • وعبارة (فى الرب) معناها « فىحدود وصايا الله » • حقا اذن ما أجمل الطاعة والخضوع ، ولكن فى الرب •

فان أطعت أبا أو مرشدا فيما يخالف وصايا الله ، فانكما كلاكما تسقطان فى حفرة ، هذا اذا كانت المخالفة واضحة • نقول هذا لأنه يوجد أحيانا بعض آباء منحرفين •••

كن مطيعا يا أخى ، واخضع فى كل شىء ، بكل اتضاع ، حتى الموت ، انكر ذاتك ، وانكر مشيئتك ، وانكر كرامتك • ولكن لا تنكر ضميرك •

وفى الطاعة ، أسلك بحكمة ، وبافراز • وتذكر قول

---

(٥٣) أف ٦ : ١

القديس أنطونيوس الكبير (*) « ان أمرت بشيء يوافق مشيئة الله فاحفظه • وان أمرت بما يخالف الوصايا ، فقل ان الطاعة لله أولى من الطاعة للناس • واذكر قول الرب : ان غنمي تعرف صوتي وتتبعني وما تتبع الغريب » (يو ١٠) •

مثال بني ركاب :

لعل من أروع الأمثلة للطاعة ، ما فعله بنو ركاب ، مما ورد شرحة في الاصحاح ٣٥ من سفر أرمياء النبي ، هؤلاء الذين أراد الرب أن يقدمهم مثالا للطاعة يبكت به عصيان اسرائيل (**) •• فأرسل اليهم أرمياء النبي ليقول لهم : « اشربوا خمرا » •

وكان الرب يعلم انهم سوف لا يطيعون حتى هذا النبي العظيم • وكان يعلم أن في عدم طاعتهم للنبي يكمن عمق الطاعة ، في معناها الحقيقي ، في حكمة وافراز •••

أخذهم النبي الى بيت الرب ، الى أحد المخادع ، حسب قول الرب له • ووضع أمامهم طاسات ملآنة خمرا وأقداحا ، وقال لهم « اشربوا خمرا » • فقالوا « لا نشرب » •

قالوا كلمة « لا » للنبي ، وقالوها بضمير مستريح ، ولم يخافوا • وسر الله جدا بعدم طاعتهم للنبي ، وكافأهم على ذلك •

لقد كان هذا من الرب اختبارا لهم لتقديمهم كمثال • واعتبر الرب موقفهم هذا انموذجا عاليا للطاعة ، مدحهم بسببه

(*) بستان الرهبان جـ ١ ص ٩

(**) انظر ص ٢٨ من هذا الكتاب

وكافاهم عليه ، وبكت بهم شعبه العاصى !!

كانوا مقدرين انهم لو اطاعوا أرمياء النبى العظيم فى هذا الأمر ، لكانت طاعتهم له كسرا للمبدأ الروحى السليم الذى ساروا عليه زمنا طويلا ، مطيعين فيه الوصية الخامسة التى أمر بها الله من قبل ٠ ووصايا الله لا ينقض بعضها بعضا ٠٠

وهنا ـ اذ ننظر فى اعجاب كبير الى موقف الركابيين ـ نتأمل فى اعجاب أكبر قول بولس الرسول فى الطاعة :

«٠٠٠ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير مابشرناكم، فليكن اناثيما (اى محروما) (٥٤) ٠

لاحظوا أن الرسول لم يقل « ان بشرناكم نحن أو ملاك بغير ما بشرناكم به ، فلا تطيعوا » ، وانما قال أكثر من هذا « فليكن محروما » ٠٠٠

وقد استفاض القديس باسيليوس الكبير فى شرح هذه الآية ، مبينا أهمية هذا المبدأ العظيم الذى قدمه لنا الرسول عن الطاعة ، وقال معلقا فى بيان خطورة هذا المبدأ « ان بولس الرسول جسر فى ذلك أن يحرم ملائكة » ٠

ولما كان موضوع الطاعة والخضوع حساسا ومهما بالنسبة الى غالبية انواع الأبوة ، لذلك قد خصصنا له الفصل المقبل من هذا الكتاب ٠٠٠

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

---

(٥٤) غل ١ : ٨

الفصل الثالث

حول الطاعة والخضوع

انه سؤال كثيرا مايحير الناس وهم يقولون :

الى أى حد يطيع الانسان ويخضع ؟ وهل هى طاعة مطلقة؟ وماذا يفعل اذا اصطدمت الطاعة بضميره؟ هل يخضع ـ تواضعا ـ أم يطيع ضميره حتى ان وصفوه بالكبرياء ؟!

نجيب بأن الطاعة ينبغى أن تفهم فى حكمة ، كما ينبغى أن يفهم التواضع فى حكمة أيضا • الطاعة أولا وقبل كل شىء وقبل كل أحد ، موجهة الى الله • ثم بعد ذلك نطيع الناس فى نطاق طاعتنا لله •

أما اذا اصطدمت الطاعتان ، طاعة الله بطاعة الناس ، فلاشك أن ضمير الانسان يصغى حينئذ الى قول بطرس الرسول « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (٥٥) •

اذن فى حدود وصايا الله ، وداخل نطاق الوصية ، ينبغى لك أن تطيع والديك • فاذا أمرك أب أو أم أمرا يكسر وصية من وصايا الله ، حينئذ بضمير مستريح لا تسمع لأى منهما •

---

(٥٥) أع ٥ : ٢١

ان الله يطالب بطاعتهما طالما كانت أوامرهما لا تتعارض مع طاعة الله ·

امثلة من الانحراف :

● ان قال لك أبوك مثلا « لو حد سأل عني ، قل له انى مش هنا »، فلا يصح حينئذ أن تطيعه · ويمكنك أن ترفض هذا الأمر فى أدب وذوق ·

● وان كان أبوك تاجرا ، واشترى بضاعة بعشرين جنيها ويريد أن يبيعها بأربعين · لذلك قال لك « ان سألك أحد عن البضاعة قل له اننا اشتريناها بسبعة وثلاثين جنيها » ففى هذا أيضا لا يجوز أن تطيع · فى كل هذا تتذكر الآية التى تقول « اطيعوا والديكم فى الرب » ·

فى أمثال هذه الأمور لا يصح أن يحتج الآباء قائلين : اين الوصية الخامسة ؟! الوصية الخامسة ذكرت فى مقدمة اللوح الثانى ، ومخالفتها لها عقوبات كذا وكذا ··! لذلك ان أراد الآباء أن يطيعهم الأولاد ، عليهم أن يصدروا أوامرهم فى حدود وصايا الله ·

● من المشاكل البارزة التى تقابل الأبناء المتدينين هى أوامر والديهم ان كانوا غير متدينين ·

يقول الأب مثلا لأولاده « تعالوا لما افسحكم الليلة دى فى السينما » ، وقد تكون رواية خليعة ! ويفتكر انه ها يعمل فيهم معروف · هايفسح عياله ، وهايصرف عليهم ، ويقطع لهم تذاكر ··! ويكون لهذا الأب ابن متدين ، فيعتذر عن هذه

الفسحة • ويصر الأب على طلبه « لأ يعنى ايه ؟ أنا قلت تروح يعنى تروح»! ويثبت الابن على مبادئه الروحية فيرفض الذهاب•

وهنا بدلا من أن يترك الأب ابنه على حريته ، ويشجعه فى تمسكه بالدين ، يظن المسكين أن سلطته قد اهتزت ، وتتحول منحته الى أمر واجب التنفيذ! ويتمسك بسلطانه كأب، ويتمسك بالوصية الخامسة التى لا تنطبق بحرفيتها وقتذاك• ولكنه يلجأ الى الاتهام والى العقاب : اتهام ابنه بهذا التدين ، ومعاقبته على تدينه !

وفى غضبه يقول هذا الأب لابنه «ما فيش حد علمك العصيان والتمرد غير الكنيسة ومدارس الأحد • يبقى لا هاتروح الكنيسة ، ولا تروح مدارس الأحد بعد كده »• انه أب منحرف وتكون النتيجة أن الولد يقف أمام مشكلة :

ايهما يطيع : هل يطيع الله أم يطيع أباه الجسدانى ؟

هل يطيع اباه الذى فى السموات أم ابا منحرفا على الأرض ؟!

ولأن الابن رفض حضور رواية خليعة فى السينما، حدثت كل هذه الثورة من هذا الأب المهتم بسلطته وحرفية أوامره دون الاهتمام بروحيات أولاده ! ومن هذه النقطة يبدأ فى وصف الابن بالعقوق والعصيان والتمرد وعدم احترام الوالدين: الى آخر ما يصل اليه هذا السخاء العجيب فى الشتائم !! ويبدأ فى أن يحرم الابن من المصروف ، ثم يبدأ سلسلة أخرى من سوء المعاملة • ويحمل الابن فى كل يوم صليبا ••

● ونفس هذه الثورة تحدث من الأم التى تصر أن تلبس ابنتها المتدينة ملابس تكشف جسدها ، كما تصر أن تدهن وجه ابنتها بأنواع من الطلاء لا يريح ضميرها •

وتصر الابنة المتدينة على أن تكون محتشمة فى ملابسها وفى زينتها • فبدلا من أن تلاقى تشجيعا على تدينها ، تقابلها أم بثورة « انت هاتفضحينا !! عايزاهم يقولوا عليك انك فلاحة • يقولوا انك بنت مش عصرية • يقولوا مالهاش أم تعتنى بها • لازم تطاوعى وتلبسى غصب عنك » ••• والا : « مافيش كنيسة ، مافيش مدارس أحد ، مافيش مصروف »!! من أجل العصيان ، والتمرد ، والعقوق !!•• نفس نغمة الأب وطريقته •••

أيها الآباء والأمهات :

اذا أردتم أن تحتفظوا بكرامتكم، اجعلوا أوامركم ونصائحكم لأبنائكم المتدينين وبناتكم المتدينات مطابقة لوصايا الله ، ومريحة لضمائرهم • اصدروا أوامر يمكنهم أن ينفذوها • والمثل يقول « اذا أردت أن تطاع ، فسل ما يستطاع » •

ان الله يوصى بطاعة الوالدين • هذا حق • ولكنه يقول أيضا « أطيعوا والديكم فى الرب » •

والمسيحية ليست مجرد آية واحدة نأخذها ونطير ، وانما هى روح معينة يقدمها لنا الله فى كتابه • ومن الخطر أن نأخذ جزءا من التعليم ، ونترك الجزء الآخر المكمل له ، لأن انصاف الحقائق ليست كلها حقائق •

لا تغيظوا أولادكم :

فلنتأمل ما قاله بولس الرسول فى رسالته الى أفسس :

قال : أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق. اكرم اباك وأمك ... هذا هو نصف التعليم. وما هو النصف الآخر ؟ يقول : « وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب » (٥٦) .

اذن نصف التعليم موجه الى الأبناء « اطيعوا والديكم فى الرب» . والنصف الآخر موجه الى الآباء «لا تغيظوا أولادكم».

وعبارة « لا تغيظوا أولادكم » كررها بولس الرسول مرة اخرى فى رسالته الى كولوسى ، مع تحذير موجه الى الآباء .

قال « أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى كل شيء ، لأن هذا مرضى ، فى الرب » . هذا هو نصف التعليم . وما هو النصف الثانى ؟ يكمل الرسول كلامه قائلا « أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا » (٥٧) .

نصف الآية موجه الى الأبناء ، ونصفها الثانى الى الآباء ،

لا تُغيظُوا أولادَكُم لِـئلا يَفشَلُوا

(كولوسى ٣ : ٢١)

---

(٥٦) أفسس ٦ : ١ ـ ٤

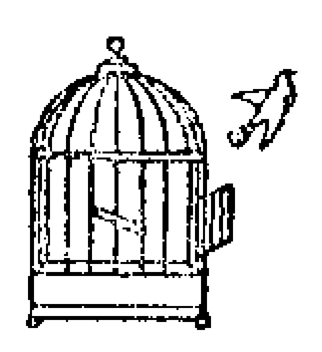
(٥٧) كو ٣ : ٢٠ ، ٢١

وكأن الله يخاطب كل أب هكذا : ابنك هذا ، أنا وضعته في يديك ، وأعطيته وصايا كثيرة أن يطيعك ...

ولكن عليك أنت ألا تستغل هذه الطاعة فى أن تضغط عليه ، وتتعب نفسيته وضميره ، وترهقه بما هو فوق طاقته، لئلا يفشل . وان فشل ، سأطلب دمه من يديك .

لذلك كما تكلمنا عن واجب الأبناء حيال آبائهم ، لا بد أن نتكلم أيضا عن واجب الآباء حيال الأبناء .

وهذا ما سنخصص له الفصل المقبل من هذا الكتاب .



الفصل الرابع

واجب الآباء نحو أبنائهم

ان اكرام الوالدين ، يقابله هو أيضا ذلك المبدأ المعروف:

كل حق يقابله واجب

فلا يصح أن الوالدين يطالبان على الدوام بحقوق ، دون أن يؤدوا ما عليهم من واجبات • هذا أقوله للآباء والأمهات• أما للأبناء فأقول : يجب عليكم أن تكرموا والديكم حتى ان لم يقم أحد منهما بواجباته نحوكم ••

ومن أهم واجبات الآباء والأمهات : تربية الأبناء فى خوف الله ، وحسن معاملتهم ، والانفاق عليهم ، ورعايتهم وتعليمهم، وتقديم حياتهم قدوة صالحة لهم ، وتأديبهم كما يليق ، فى حزم ممزوج بمحبة وعطف •

تربية الأولاد فى خوف الله :

ان الآباء والأمهات هم اشابين لأولادهم ، تعهدوا أمام

الكنيسة فى يوم عمادهم أن يربوهم فى حياة الايمان والفضيلة. فهم مسئولون أمام الله عن أبنائهم فى تنشئتهم تنشئة روحية صالحة .

غير ان كثيرين من الآباء والأمهات يقصرون اهتمامهم بأولادهم على الأمور الجسدية والمادية فقط دون الاهتمام بروحياتهم .

كل اهتمامهم بأولادهم منصب على نواحى المأكل والملبس، والصحة الجسدية ، وتهيئة الابن لكى يجد وظيفة ومركزا ، وتهيئة البنت لكى تتزوج وتستقر فى بيت. أما حياة أولادهم الروحية ، وضمان مستقبلهم الأبدى ، فهى أمور ليست موضعا للتفكير ، كأن لا أهمية لها فى نظر الآباء والأمهات !!

فان شب احد من اولادكم فاسدا او سيء الخلق او كان سببا فى تعبكم ، فلا شك انكم تحصدون ثمرة أيديكم .

لقد كان هذا الابن فى يوم من الأيام عجينة لينة طيعة فى أيديكم تشكلونها كما تشاءون ، فلماذا لم تهتموا به لكى يكون ابنا صالحا يفرح قلوبكم ويفرح قلب الله ؟

اننا لا ننكر انه يوجد احيانا بعض أولاد شواذ ...

فآدم كان من أولاده هابيل البار ، وأيضا قايين القاتل. ونوح كان من أولاده سام ويافث المباركان ، وأيضا حام الذى لم يستر عورة أبيه وتسبب فى لعنة كنعان . ويعقوب كان من أولاده يوسف الصديق، وأيضا اخوته الذين باعوه وكذبوا على أبيهم يعقوب . واسحق نفسه كان من أولاده يعقوب البار

وأيضا عيسو المستبيح الذى باع البكورية بأكلة عدس ...
وما أكثر الأمثلة ان حاولنا أن نحصيها .

ولكن ليس معنى هذا ان تترك ابنك يفسد ، وتقول : انا مثل أبينا اسحق الذى كان ابنه عيسو قاتلا ومستبيحا ! ..

ليس هذا عذرا لك ، فربما ظروفك وظروف ابنك تختلف عن حالة اسحق وعيسو . أما ان كنت قد بذلت كل جهدك فى سبيل حياة ابنك الروحية ومستقبله الأبدى ، ولكنه على الرغم من كل هذا انحدر الى الفساد لظروف خرجت عن ارادتك ففى هذه الحالة يكون لك عذر ...

الزواج مسئولية امام الله :

ما دام الوالدان مسئولين أمام الله عن تربية أبنائهما وتقديم حياتهما قدوة عملية صالحة أمامهم ، اذن فالزواج هو مسئولية بلا شك ...

ان الزواج ليس مجرد علاقة بين رجل وامرأة ، وانما هو مسئولية تحتاج الى كفاءة والى مؤهلات أبوة وأمومة ...

هل يصلح هـذا الرجل المتقـدم للزواج لان يكون أبا ، يربى أولاده حسنا ، ويكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل تصلح هذه الفتاة لأن تكون أما تربى أولادها حسنا ، وتكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل يصلح الاثنان لأن يكونا زوجين مثاليين ، يؤسسان بيتا مقدسا ، لا خلاف فيه ولا شجار ، ولا خطـأ يعثر الأولاد ؟؟

ان الأمومة والابوة ، يحتاجان هما أيضا الى مؤهلات : من حيث النضوج الروحي والذهني ، والفهم السليم لواجبات الأمومة والأبوة ، وفهم نفسية الاولاد ، والقدرة على تربيتهم.

العجيب أن كل شاب يتقدم لخطبة فتاة ، يحصر تفكيره في نقطة واحدة وهي : هل هذه الفتاة تصلح لأن تكون رفيقة تسعد حياته ؟ دون أن يفكر فيها : هل تصلح أما أيضا أم لا. ونفس التفكير يكون عند الفتاة نحو خطيبها !!

وتكون النتيجة أن ينجب الزوجان بنين ، وهما لا يعرفان طريقة التربية . فان أخطأ الابن ، يقابلانه بالضرب ، والنرفزة والشتيمة ! ويتهمانه بالعقوق والتمرد والفساد ! ولكن ما هو واجبكما في تربيته ؟ لا شيء ، سوى التمسك بالوصية الخامسة كأنها مصدر للسلطة دون القيام بواجبات الأبوة وبواجبات الأمومة ...!

ان الأبوة هي واجب ومسئولية ، وليست مجرد سلطة . الأبوة هي رعاية ، هي عناية ، هي اهتمام ، هي حب وعطف وحنان ، هي جهد باذل في سبيل الأبناء حتى ينشأوا كاملين وصالحين ... وبنفس الأسلوب نتكلم عن الأمومة .

أمثلة فاضلة

وهنا نذكر بمزيد من الفخر **ام صموئيل النبي** ، التي ربت ابنها في مخافة الله ، ووهبته لخدمة الهيكل . وقالت عبارتها

الجميلة « لأجل هذا الصبى صليت، فأعطانى الرب سؤالى الذى سألته من لدنه • وأنا أيضا قد أعرته للرب • جميع أيام حياته هو عارية للرب » (٥٨) •

ونذكر أيضا فى إعجاب **أم القديس تيموثاوس** الذى أرسل اليه بولس الرسول يقول « أتذكر الايمان العديم الرياء الذى فيك ، الذى سكن أولا فى جـدتك لوئيس وأمك افنيكى • ولكنى موقن أنه فيك أيضا » (٥٩) •

وبمزيد من الفخر أيضا نذكر **أم القديس اوغسطينوس** ، القديسة مونيكا التى ظلت تبكى على ابنها حوالى العشرين سنة متضرعة الى الله من أجله ، وموصية عليه القديس امبروسيوس أسقف ميلان • حتى قال لها ذلك الأسقف البار « ان ابن هذه الدموع لا يهلك » • وفعلا تاب أوغسطينوس وصار قديسا بصلوات أمه ودموعها •••

ونذكر أيضا بكل تمجيد وتقديس **أمهات الشهداء الأبرار** اللائى ربين أولادهن فى حب الله ، وكن يشجعن **أبناءهن ع** الموت • وواحدة منهن استشهدت ابنتها على حجرها • هؤلاء القديسات كان حنانهن الروحى طاغيا على كل حنان جسدى •

ولعل من الأمثلة الرائعة فى الأمومة ، **أم موسى النبى** •• ما أعجب تأثيرها الروحى العميق على ابنها على الرغم من ضآلة فترة الطفولة التى قضاها معها • ما هى الفترة التى قضاها

---

(٥٨) ١ صم ١ : ٢٤ـ٢٨ (٥٩) ٢ تى ١ : ٥

موسى مع أمه ؟ ان ابنة فرعون سلمته أياها رضيعا • وظل معها حتى فطم وكبر واستطاع أن يمشى على رجليه •• وعندئذ أرجعته الى ابنة فرعون فصار لها ابنا •••

ولكن هـذه الأم العجيبة المتدينـة ، استطاعت فى تلك السنوات القليلة أن تشبع ابنها بكل مبادىء الدين ، وتغرس فيه كل قواعد الايمان • حتى أن أربعين سنة قضاها موسى فى قصر فرعون بكل ما فيه من عبادة وثنية ، لم تستطع أن تنزع منـه الايمان الراسخ الذى أخـذه من أمه فى سنوات طفولته الأولى •••

انها فترة ضئيلة تلك التى عاشها مع أمه ، ولكن كم كان أعمقها • بها تأهل للخطوة الأولى من زعامته الروحية •••

وأنت أيتها الأم الحاضرة معنا الآن ، كم سنة قضاها ابنك فى رعايتك ، أو كم عشرات السنوات ؟ أراك بعد عشرين سنة من ولادته تبكين من سوء خلقه ومن شراسة طبعه !!

طوال هذه السنين التى قضاها معك، ما هو التأثيرالروحى الذى اخذه منك ، وخاصة عندما كان عجينة لينة فى يديك ؟!

ليتك تأخذين قدوة صالحة من أم موسى وغيرها من الأمهات القديسات ، حتى تعرفى حقيقة واجبك الروحى كأم •••

وقبل ان تسألى عن مدى طاعة ابنك للوصية الخامسة ، نسألك نحن : ما هو الاعداد الروحى الذى أعددت به ابنك، ليكون ابنا صالحا ينفذ هذه الوصية وغيرها من الوصايا ؟!

وما أقوله للأم ، اقوله أيضا للأب .

ولنضع أمامنا ، قصة عالى الكاهن ، الذى لم يرب أولاده فى خوف الله . ولنخف من المصير المريع الذى تعرض له نتيجة لاهماله فى تربية أبنائه ... (٦٠)

العمل الروحى فى البيت :

وأنتم أيها الآباء والأمهات ، ما هو العمل الروحى الذى تقومون به فى بيوتكم المقدسة ، من أجل أنفسكم ، ومن أجل أولادكم ؟

هل لكم صلوات عائلية ، تجتمع فيها الأسرة كلها معا للصلاة ، وتعودون أولادكم الصلاة من صغرهم ؟ وعلى الأقل هل أنتم تصلون من أجل أولادكم ، بمواظبة ؟

وهل تقيمون القداسات وترفعون القرابين من اجل اولادكم. ان أيوب الصديق فى العهد القديم يوبخنا جميعا بما كان يفعله . لقد كان مواظبا على تقديم المحرقات من أجل أولاده « على عددهم كلهم » « لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم . هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام » (٦١)

وهل تقرأون الكتاب ، وتشرحون قصصه لأولادكم ،

---

(٦٠) ١ صم ٣ : ١٠-١٤ ، ٤ : ١٨

(٦١) أيوب ١ : ٥

وتحفظونهم آياته ؟... هكذا قال الرب لكل منا من جهة وصاياه « ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك،وتكلم بها حين تجلس في بيتك»(٦٢) فمن منكم ينفذ هذه الوصية في بيته ؟

في مرة من المرات أشار لي صديق على أحد الشبان ، وقال لي: انه من عائلة طيبة . انني أذكره منذ كان طفلا صغيرا **وكانت امه قديسة ، تأتي به وبأخويه معه الى الكنيسة ، وتسجد مع أولادها الثلاثة أمام المذبح بكل خشوع .** ولقد مرت سنوات طويلة ، وصار هذا الطفل شابا ، ولكنني لم أنس أبدا منظر تلك الأم القديسة هي وأطفالها الثلاثة ، وهم سجود معا بكل خشوع أمام المذبح ...

ان التربية الروحية منذ الصغر لها تأثيرها بلاشك ، خاصة في البيت المسيحي الذي تسوده المحبة والسلام والقدوة الصالحة .

حنان جسدي لا روحي !

غلطة الوالدين أن حنانهما في غالبية الأوقات يكون حنانا جسديا . أما الحنان الروحي فهو غير موجود .

ياتي الصوم . فماذا يسمع الأبناء من والديهم ؟ « **يا أولاد ، انتم صحتكم ضعيفة ، بلاش صوم** » !! وماذا عن

---

(٦٢) تث ٦ : ٦ ، ٧

صحتهم الروحية ؟ هذه للأسف الشديد لا تدخل مطلقا فى برنامج تربية الوالدين لأبنائهم ! المهم انهم عايزينهم يسمنوا ، عايزينهم يكبروا • كما لو كانت وظيفتهم فقط هى تربية لحوم ! أو كما لو كانوا آباء وأمهات للأجساد فقط وليس للابن كله ، كانسان كامل ، بجسده وروحه •

ما اجمل ان يأتى الصيوم ، فتقول الأم القديسة لأولادها « يا اولادى ، لا يصح ان يمر علينا هذا الصوم بدون ان نستفيد روحيا • لازم نذل اجسادنا علشان تحيا ارواحنا وتنمو • لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ؟ • حينئذ ينظر الأولاد الى أمهم باحترام ، ويقولون « أمنا دى ، ست قديسة » •

أما ان قالت لهم نفس العبارة « مافيش صيام • انتم رفيعين » ! وان انضم الأب لها فى هذا الرأى ، فأية فكرة اذن سيأخذها الأبناء عن والديهم ؟ بلا شك سيحاربهم الفكر بأن والديهم بعيدان عن الحياة الروحية ، وأن همهما كله فى الجسد وشكله ونموه !!

ما أبشعها خطية ان يأخذ الابن فكرة سيئة عن والديه ، ويقل تقديره الداخلى لهما !! ولكن ما هو السبب فى هذه الخطية ، سوى العثرة التى يراها فى حياة والديه وطريقة تفكيرهما !••

لماذا لا يكون الآباء روحيين ، والأمهات روحيات ؟! ما أحلى اذا لاحظ الأب فى يوم ما ان ابنه مقصر فى واجباته

الروحيـة ـ أن يقول له « أنا شاعر يا ابنى انك فى فتور روحى . سـأهديك كتابا من سـير القديسين قـرأته قديما وتأثرت به . اقرأه لتستفيد » أو «تعال بنا ، لنصلى معا»...

العجيب أن كثيرا من الشـبان المتـدينين والشـابات المتدينات ، يجدون أن الأب والأم هما اللذان يعرقلان نموهم الروحى !! ويقفان عقبة فى طريقهم نحو الله : يعطلان صـلاة الأبنـاء ، ويعطلان صـومهم ، ويعطلان عبـادتهم وتدينهم ، ويعطلان ذهابهم للاجتماعات الدينية !! ويكثران التوبيخ اذا امتنع الأولاد عن بعض المتع التى لا تريح ضمائرهم .

ويظن هؤلاء الآباء أن تلك المتع مادامت لا تضرهم هم ولا تعثرهم ، فبالضرورة هى ايضـا لا تعثر أولادهم !! ناسين الفارق فى السن ونوع الحياة !

لست أدرى كيف سيقدم هؤلاء الآباء والأمهات حسابا أمام الله عن حياة أولادهم الروحية ؟!..

أما عن التكريس فهو مشكلة المشاكل دائما مع الوالدين.

الوالدان والتكريس :

عندما يريد أحـد الأبنـاء أن يكرس نفسه لخدمة الرب ، فأول من يقف ضده هو الأب والأم !! كأنه فى طريق الاعدام أو السجن !

كل هم الأم ان تتزوج ابنتها وتستقر فى بيت . أما ان

ارادت تكريس نفسها للرب ، فان الدنيا تقوم وتقعد . وتظل الأم تضغط وتضغط ، بالأفكار تارة ، وبالبكاء تارة أخرى ، وبالتهديد مرات عديدة ... « أمك هاتموت . أمك جالها ضغط » . ويضغطون على البنت المسكينة « ها تقتلي أمك ، حرام عليكى » !! كل ذلك من أجل اتجاه روحى مقدس يحتاج الى حكمة فى مواجهته لا الى ثورة ...

ويتطور الأمر الى خطيب يأتى ، ولابد أن تقابله البنت ، وتحسن مقابلته ، والا فانها ستقتل أمها ! **والخطيب الوحيد المرفوض هو السيد المسيح** ، الذى قال عنه بولس الرسول « خطبتكم ... لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٦٣) .

نقطة أخرى فى واجبات الوالدين وهى :

المحبة وحسن المعاملة :

أيها الآباء والأمهات ، كونوا أشخاصا روحيين ، يحترمكم أولادكم . اكسبوا ثقتهم ، واكسبوا تقديرهم ، بشخصيتكم الروحية ، لا بسلطانكم .

لا تظنوا ان الابوة هى مجرد سلطة . كلا ، انها حب وحنان وعطف ، انها البال الطويل والقلب الواسع الذى يمرح فيه الابن ، ويستريح . انها البذل والتضحية ...

واذا خلت الابوة من حنانها ، تصبح لقبا ميتا لا حياة

---

(٦٣) ٢ كو ١١ : ٢

فيه . واذا اهتم الأب بمجرد السيطرة ، وأشبع فى نفسه شهوة الأمر والنهى ، لمجرد الأمر والنهى ، واعتزازا بمركزه فى الأسرة ، اذن فهو حاكم وسيد ، وليس أبا ...

ودلالة الابوة على الحنان والرأفة ، هي ما قصده الرب الهنا عندما طلب الينا أن ندعوه « أبانا » . وهكذا قال يوحنا الرسول « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (٦٤) . وعن هذا المعنى عينه تكلم داود فى المزمور فقال « كما يترأف الأب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه » (٦٥) .

● **ومن علامات محبتكم لأولادكم ألا تضغطوا على نفسياتهم، وأن تأمروهم فى حدود طاقتهم ، وأن تقنعوهم بأوامركم اذا بدت غريبة عليهم** . لا تظنوا أن فى شيء من هذا اقلالا لمركزكم .

اجعلوا طاعتهم واحترامهم لكم ، يكون مصدرها من الداخل ، من اقتناع قلوبهم ، وليس بارغام من الخارج .

انظروا لماذا يطيع الأبناء مرشديهم الروحيين أكثر من والديهم ؟ ان هذا لعدة أسباب بلا شك :

١ ـ لثقتهم فى روحانية هؤلاء المرشدين ، وأن كلامهم هو صوت الرب لهم . هذه الثقة التى أنصحكم باقتنائها .

---

(٦٤) ايو ٣ : ١

(٦٥) مز ١٠٣ : ١٣

٢ ـ لأن هؤلاء المرشدين يكلمونهم بحب لا بسيطرة ، كأصدقاء ، لا يسمعون منهم عبارة « أنا قلت كده يعنى كده » ...

٣ ـ لأنهم يقنعونهم . لا يصدرون اليهم الأوامر واجبة التنفيذ ، وانما يشرحون الفكرة ، حتى يفهمها أولادكم فينفذوها ... والكلمة القوية المقنعة مطاعة مهما كان مصدرها .

٤ ـ لأنهم يحترمون شخصيةأولادكم وعقلياتهم . ما أحكم المثل القائل « ان كبر ابنك ، خاويه » أى عامله كأخ .

ليت هذه النقط الأربع تكون ذات فائدة . نصيحة أخرى .

● من علامات محبتكم لأولادكم أن تمنحوهم حرية تحت رقابتكم . الله نفسه يمنحنا الحرية ولا يجعلنا مسيرين . لذلك:

لا ترغموا أولادكم فيما يتعلق بزيجتهم . انصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . لابد أن يوافق كل منهم على من يقضى معه فترة العمر كلها .

لا ترغموهم فيما يختص بمستقبلهم . انصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . كل منهم له اتجاهه الخاص الذى يتفق ونفسيته وعقليته ومواهبه ...

اعطوهم حرية فى تدينهم . وتأكدوا أن تدينهم مفيد لهم ولكم ، على الأرض وفى السماء . ولا تقفوا عقبة فى حياتهم الروحية ، لئلا تفقدوهم .

الفصل الخامس

حدود إكرام الوالدين

الى أى حد يكرم الانسان والديه ؟ ان كانت هناك حدود معينة ، فما هى ؟ للاجابة على هذا السؤال نقول انه يجب على الانسان أن يحب والديه ويكرمهما الى آخر ما تصل اليه امكانياته . ولكن عليه الا تصطدم محبته بوالديه بمقدسات أخرى . فيراعى أن محبته لوالديه :

١ ـ لا تكون أزيد من محبته لله :

وهذا الأمر تحدث عنه الرب بصراحة فقال « فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ... وأعداء الانسان أهل بيته . **من احب ابا او اما اكثر منى ، فلا يستحقنى ...** » (٦٦) .

اذن تحب أباك وأمك ، ولكن ليس أكثر من محبة الله . ان اصطدمت محبتهما بمحبتك لله ، فانك تصغى حينئذ الى قول الرب « **ان كان احد ياتى الى ولا يبغض اباه وامه**

---

(٦٦) متى ١٠ : ٣٥ ـ ٣٧

و ٠٠٠٠حتى نفسه ايضا ، فلا يقدر ان يكون لى تلميذا » (٦٧) طبعا يحدث هذا ان كان أبوك وأمك سيبعدانك عن طريق الرب ، أو ان كانا ضد الله أو ضد عمله ٠

فمن أجل الله ومحبته ، يجب أن تطرح جانبا كل محبة أخرى ٠ ومن أجله ومن أجل خدمته وانجيله ، يمكن أن تترك الأب والأم والأقارب جميعا ٠ وفى ذلك قال الرب « **الحق اقول لكم ليس أحد ترك بيتا او أخوه أو اخوات أو أبا او أما ٠٠٠ لأجلى ولأجل الأنجيل ، الا ويأخذ مائة ضعف** الآن وفى هذا الزمان ٠٠٠ وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (٦٨) ٠

ان محبة الله يجب أن توضع فوق كل محبة أخرى ٠ ومحبة الوالدين يجب أن تكون داخل محبة الله ٠ فلا يصح أن تكرم أبا على حساب محبة الله ، أو أن تجامل ابا بكسر وصية من وصايا الله ٠

من أجل الله يمكن أن تترك والديك ، ويمكن أن تضحى بمحبتهما ٠ وانسار أحدهما وراء الباطل ، فلا تشترك معه ، ولا تجامله ٠ وسنضرب لذلك مثلا من الكتاب المقدس ومثلا من تاريخ الكنيسة :

يوناثان البار يوبخ أباه شاول :

أحب يوناثان داود ، وكان الأب مع داود ٠ وكان شاول الملك أبو يوناثان يحسد داود ويشتهى قتله والتخلص منه ٠

---

(٦٧) لو ١٤ : ٢٦ (٦٨) مر ١٠ : ٢٩ ـ ٣٠

وكم من مرة حاول ذلك ولم يمكنه الرب منــه • أما يوناثان فعمل كل جهده على انقاذ داود •

رأى يوناثان ان الحق فى جانب ، وأباه فى جانب آخر • فوقف الى جــوار الحق ، ضــد أبيه • ولم يتملق أباه ، بل نصحه ووبخه • وجاهد لتحطيم خطط أبيه الشريرة •

فى احدى المرات « كلم شاول يوناثان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود » • فلم ينفذ يوناثان هذا الأمر • ولم ينضم لأبيه فى رأيه ولا فى خطته • بل على العكس « تكلم يوناثان عن داود حسنا مع شاول أبيه • وقال له : لا يخطىء الملك الى عبده داود لأنه لم يخطىء اليك ، ولأن أعماله حسنة لك جدا ••• لماذا تخطىء الى دم برىء بقتل داود بلا سبب » (٦٩) •

وهكذا بين يوناثان لأبيــه خطأه فى حق داود • ومدح داود أمامه ولم يخف • وأقنعــه حتى رجع فى تلك المرة عن فعله ولم يقتل داود ••• لم يتملق أباه ، ولم يجامله •••

وأقام يوناثان عهدا مع داود ، وهو يعلمأن أباه يكرهه ، واتفق معه على خطة سرية تنقذه من أبيه ، ودافع عنه أمام أبيه حتى غضب أبوه منــه ، وقال له « يا ابن المتعوجة المتمردة ، أما علمت أنك قــد اخترت ابن يسى لخــزيك ••• لأنه مادام ابن يسى حيــا على الأرض لا تثبت انت ولا مملكتك • والآن ارسل وأت به الى ، لأنه ابن الموت هو » •

---

(٦٩) اصم ١٩ : ١ ـ ٧

ولكن يوناثان صمد أمام غضب أبيه ، وهاجم قـرارات أبيه مرة أخرى ، حتى ثار أبوه وكاد أن يقتله ...

وفى ذلك يقول الكتاب « فأجاب يوناثان شاول أباه وقال له لماذا يقتل (داود) ؟ ماذا عمـل ؟! فصابى شاول الرمح نحوه ليطعنه . فعلم يوناثان أن أباه قد عزم على قتل داود . فقام يوناثان عن المائدة بحمو غضب ولم يأكل خبزا... » (٧٠) وذهب يوناثان فأخبر داود ، وأنقـذه « وقبـل كل منهمـا صاحبه وبكى » . وقال يوناثان لداود : اذهب بسلام ...

وهكذا نرى أن يوناثان البار ، قد بكت أباه ، وشرح له خطأه ، ودافع أمامه بكل شجاعة عن داود الذى يكرهه أبوه . وتعرض لغضب أبيه وثورته . وبذل كل جهده حتى أفسد خطة أبيه فى قتل داود .

أكانت الوصية الخامسة تلزم يوناثان أن يشترك مع أبيه فى قتل داود ، أو على الأقل يصمت ولا يعارض أباه ، احتراما لأبيه واجلالا لسنه ومركزه ؟!! كلا . بلا شك . لو فعل يوناثان كذلك ـ بفهم خاطىء للوصية ـ لأخطأ الى الله ، والى داود ، والى نفسه ، والى شاول أبيه ...

الملك سليمان وأمه :

مثال آخر من الكتاب المقدس ، وهو ما حدث بين سليمان الملك وأمه . جاءت أمه اليه ، فقابلها بكل احترام ، وقام عن

---

(٧٠) اصم ٢٠ : ٣٠ ـ ٣٤

كرسيه وسجد لها ، ثم أجلسها الى جواره • فقالت له « انى أسألك سؤالا واحدا صغيرا ، لا تردنى » فأجابها « اسألى ياأمى لا أردك » • فطلبت منه أمه طلبا ضد الشريعة ، طلبت أن تعطى ابيشج الشونمية زوجة لأخيه ادونيا • وكانت ابشيج تعتبر زوجة لأبيهما داود ، أو بمثابة ذلك •••

وعلى الرغم من الاحترام العظيم الذى قابل به سليمان أمه ، فانه لم يجبها فى وساطتها لأدونيا ، بل أمر بقتله •

وهكذا قال سليمان « ••• قد تكلم ادونيا بهذا الكلام ضد نفسه • والآن حى هو الرب ••• انه اليوم يقتل ادونيا » (٧١) •

القديسة دميانة توبخ أباها :

هذه القديسة العظيمة كان أبوها مرقس واليا على البرلس والزعفران فى عهد الملك ديوقلديانوس الكافر • ونتيجة لضغط الملك الشديد وتهديده ، بخر مرقس الوالى للأصنام •

فلما رجع الى ولايته ، وعلمت ابنته بخبره ، دخلت عليه مغضبة • ولم تسلم عليه بل وبختـه توبيخا شديدا ، وقالت له انها تتبرأ من أبوته ، وانه كان الأفضل لو رآته ميتا •••

ونتيجة لهذا التوبيخ الشديد أفاق أبوها من غفلته ، وبكته ضميره ، فرجع الى ديوقلديانوس ، واعترف بالسيد المسيح ، ومات شهيدا وانضم الى القديسين •

---

(٧١) امل ٢ : ١٩ ـ ٢٤

ولم يكن توبيخ ابنته دميانة له كسرا للوصية الخامسه ، بل انقاذا لحياته من الهلاك الأبدى •

قلنا انه من حدود اكرام الوالدين ، أن هذا الاكرام لا يتعارض مع محبة الله • نضيف نقطة أخرى هى :

٢ ـ حفظ حقوق الزوجية :

يقول الكتاب « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » (٧٢) • فلا يصح أن يضحى الرجل بزوجته اكراما لأبيه وأمه • انى أنصح باستمرار ، من أجل سلامة الأسرة ، أن يسكن كل زوجين جديدين فى بيت مستقل ، بعيدا عن الاحتكاك بالأب أو الأم •

فالأم التى تحب أن يظل ابنها فى حضنها وبيتها بعد أن يتزوج، هى أم تكسر الوصية القائلة « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » •

فان سكن الابن وحده ، وظلت أمه تعيره بأنه ابن عاق ، وأنه ترك أمه ونسى تعبها فيه ! فهذا كلام لا يصح أن يقال • بل الأم الحكيمة هى التى تساعد أولادها وبناتها على الارتباط بأزواجهم •

الأم الحكيمة اذا أتتها ابنتها غضبانة من زوجها ، لكى تقيم معها فى البيت ، تقول لها « لا يا بنتى ، انت ليكى بيت غير

---

(٧٢) تك ٢ : ٢٤ ، متى ١٩ : ٥ ، اف ٥ : ٣١

ده • بيتك هو بيت زوجك • ارجعى الى زوجك واصطلحى معاه لأن الكتاب المقدس يأمرك أن تتركى الأب والأم وتلتصقى بزوجك » • ان الحنان الزائف الذى تبديه الأم نحو ابنتها فى تشجيعها على ترك بيت زوجها ، هو سبب من الأسباب الجوهرية فى كثير من مشاكل الأحوال الشخصية •

وكذلك فان الرجل الذى يحب أمه أكثر من زوجته ، ويخرب بيته من أجل طاعة الأم ، هو أيضا لا ينفذ الوصية التى تقول « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » •

ولكن ليس معنى هذا أن تستغل الزوجة هذه الآية فى جهل ، وتوغر قلب زوجها ضد أبيه وامه ••• وتقول له ان الكتاب يقول « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » • وهذه التى تقسى قلب زوجها ضد أبيه وأمه ، لا تظنوا مطلقا أنه سيحبها أكثر من والديه • لأن محبة الوالدين هى محبة طبيعية تجرى فى الدم • أما محبة الزوجة فهى محبة مكتسبة تأتى بالخلطة والمعاشرة • والشخص الذى لا خير فيه لأبيه وأمه ، لا خير فيه أيضا لزوجته •

أما قول الكتاب « يترك أباه وأمه » ، فالقصد منها بتركهما من جهة المسكن ، ولكن لا يتركهما من جهة المحبة والاحترام والعرفان بالجميل ، ولا من جهة الاعالة أيضا فى حدود امكانياته •••

•••••••••••••••

الفصل السادس

أنواع أخرى من الأبوة

أقارب فى مستوى الأبوين :

الوصية الخاصة باكرام الوالدين لا تنطبق عليهما وحدهما ، بل على من هم فى مستواهم أيضا ، مثل العم والخال، والعمة والخالة ، والأجداد طبعا لأنهم آباء الآباء ·

والحماه تعتبر أما ويسمونها بالانجليزية mother in Law

وكذلك الصهر يعتبر أبا ، ويسمونه father in Law

صدقونى ، لو أن كل زوجة عاملت أم زوجها كأنها أمها، وحماتها نظرت اليها كابنتها ، لزالت تلك المشكلة تماما ···

وعلى العموم ، فان كل الأقارب الذين هم أعلى منك درجة، وأكبر منك سنا ، عاملهم كآباء وامهات · ولسنا فى حاجة الى كتابة قائمةطويلة بكل هؤلاء الأقارب · والأخ الأكبر ينبغى أن تعامله باحترام ، وكذلك الأخت الكبرى ·

هناك أنواع أخرى من الابوة ، خارج القرابة الجسدية ، سنتكلم عنها فى الصفحات المقبلة » ···

كما أن لنا آباء وأمهات بالجسد ، كذلك أعطانا الله اما روحية هى الكنيسة ، وآباء روحيين هم الأنبياء والرسل والأساقفة والكهنة . ومن آبائنا الروحيين القديسون عموما ...

أمثلة من الأبوة الروحية :

ابراهيم أبو الآباء دعى أباً لجميعنا « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة » مع أنهم ليسوا من نسله بالجسد . « أباً لأمم كثيرة ... ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذى هو أب لجميعنا » (٧٣).

ان اليشع عندما رأى ايليا النبى صاعدا الى السماء صرخ قائلا « يا أبى يا أبى ، مركبة اسرائيل وفرسانها » (٧٤) .

وبنفس هذا النداء أيضا خاطب يوآش الملك اليشع النبى (٧٥) وكان اليشع وايليا بتولين ، ولكنها أبوة روحية .

وعن هذه الابوة الروحية يرسل بولس الرسول الى فليمون من جهة انسيموس فيقول « أطلب اليك لأجل ابنى

(٧٣) رو ٤ : ١١ ــ ١٦ (٧٤) ٢ مل ٢ : ١٢

(٧٥) ٢ مل ١٣ : ١٤

انسيموس الذى ولدته فى قيودى » (٧٦) • وبولس الرسول كان بتولا ، وابوته لانسيموس هى أبوة روحية ، وكذلك أبوته لتيموثاوس ، الذى قال عنه « تيموثاوس الابن الصريح فى الايمان » (٧٧) وأيضا « تيموثاوس الابن الحبيب » (٧٨) •

وعن هذه الأبوة الروحية أرسل بولس الرسول الى أهل غلاطية يقول لهم « **يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا** » (٧٩) كما أرسل الى أهل كورنثوس يقول « ••• كأولادى الاحباء أنذركم • لأنه وان كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح ، لكن ليس آباء كثيرون ، **لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالانجيل** • لذلك أرسلت اليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب ••• » (٨٠) •

ويوحنا الرسول ـ وهو بتول أيضا ـ تحدث عن أبوته الروحية ، فكتب يقول « يا أولادى ، أكتب اليكم هذا لكى لا تخطئوا » (٨١) • « ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (٨٢) •

والدسقولية تقول فى بابها السادس عن الأسقف انه « ابوكم بعد الله » • **والكنيسة تقول عن القديسين فى المجمع « آباءنا القديسين »** • وتقول فى أوشية الراقدين « اطلبوا

---

(٧٦) فليمون ١٠
(٧٧) اتى ١ : ٢
(٧٨) ٢ تى ٢ : ٢
(٧٩) غل ٤ : ١٩
(٨٠) اكو ٤ : ١٤ ـ ١٧
(٨١) ١ يو ٢ : ١
(٨٢) ٣ يو ٤

عن آبائنا واخوتنا الذين رقدوا ... آبائنا القديسين رؤساء الأساقفة ، وآبائنا الأساقفة ، وآبائنا القمامصة ، وآبائنا القسوس ، واخوتنا الشمامسة ، وآبائنا الرهبان ... » .

ومن اعتزاز الكنيسة بلقب الأبوة الذى يدل على غاية الحنان والحب ، تسمى رئيس الأحبار « البابا » . وتطلق على المطارنة والأساقفة لقب « أنبا » أى « أب » .

ذلك لأن المحبة التي يحملها لقب الأبوة هى الدعامة الأولى للرعاية والخدمة .

الأبوة أعمق تأثيرا من السيادة (٨٣)

مع اعترافنا بأن الأسقف سيد ورئيس وملك وراع كما تدعوه الدسقولية ، الا اننا عندما نقول « أبونا الأسقف » و « أبونا المطران » و « أبونا البطريرك » ، انما يتملكنا احساس قوى بعاطفة أعمق بكثير من رسميات الرئاسة والسلطة . يكفى أن الله ذاته نناديه قائلين « أبانا » دون أى انقاص من سلطته علينا .

وانت يا أبى الأسقف ، عندما تنسى أنك رئيس وسيد ، وتذكر فقط أنك أب تجمع أولادك فى حضنك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، حينئذ ستعيش فى جو من

(٨٣) نقلناها عن (الكرازة) من العددين ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٦

المحبة ، تربطك بأولادك العاطفة أكثر من القانون ، والمحبة أكثر من الخضوع .

لك يا أبي سلطان ، ومن حقك أن تأمر فتطاع . ولكن حسن أن تنسى سلطانك ، وأن يطيعك الناس حبا فيك لا خوفا منك ، وطلبا لبركاتك ورضاك لا اتقاء لعقوباتك وسلطة كهنوتك .

قد يخضع البعض لأمرك وينفذه ، وفي داخله تذمر قد يصعد أحيانا الى فمه . اما بالحب فتكسب نوعا آخر من الخضوع هو خضوع الثقة ورضا القلب ...

وما أجمل قول الكتاب :

"إن صرتَ اليوم عبدًا لهذا الشعب ، وخدمتهم وأجبتهم ، وكلمتهم كلامًا حسنًا ، يكونون لك عبيدًا كل الأيام" (1مل 12 : 7)

ليست أبوة الرعاة لقبا رسميا ، بقدر ما هي حالة من الحب والعناية والعطف ، يلمسها عمليا كل من يتصل بالراعي عن قرب أو بعد . فالراعي هو القلب الواسع الكبير ، الذي يلجأ اليه الجميع ، فيجدون عنده حلا لمشاكلهم ، أو على الأقل عزاءا في ضيقاتهم ...

الراعي الحقيقي يدخل مدرسة الحب قبل مدرسة الخدمة . **يتخذه الناس أبا عن جدارة لا عن وظيفة .** حتى ان قلت مواهبه ، تعوضها محبته ...

حورب تلاميذ المسيح بمحبة السيادة هم أيضا ، فقال لهم الرب : « لا يكن فيكم هذا الفكر » • ومع ذلك « **من أراد فيكم أن يكون عظيما فليكن لكم خادما • ومن أراد أن يكون فيكم أولا ، فليكن لكم عبدا** » (٨٤) •

ان السيادة الحقيقية للراعى هى سيادته على القلوب بالمحبة ،ولا يصح أن تأخذ مظهرا عالميا ينحرف بها الى حب السيادة والتسلط !! ان عمله هو كسب النفوس للرب ، وليس كسب طاعتهم وخضوعهم لشخصه !

وما أسهل أن يحاول الراعى تبرير موقفه ، بأن يقول : « لست أبحث عن كرامتى ، وانما عن كرامة الكهنوت » !! **انه فهم خاطىء لكرامة الكهنوت • فالسيد المسيح لم يفقد كرامته ، عندما انحنى وغسل أرجل تلاميذه** ، بل ازدادت كرامته فى أعيننا بخدمته لنا ، وازدادت جدا بقول الكتاب عنه انه « أخلى ذاته وأخذ شكل العبد » •

فهل يخلى سيدك ذاته ، ويأخذ شكل العبد وهو سيد الكل ، وتحاول أنت أن تصير سيدا للعبيد رفقائك •••! أتريد أن تختبر نفسك فى هذا الأمر ؟ هوذا الاختبار !

ان كنت تبيت مسرورا ، حينما تخضع غيرك لسلطانك الكهنوتى ، وتذله تحت قدميك ، اذن فأنت مجرد سيد ولست

---

(٨٤) متى ٢٠ : ٢٦ر٢٧

أبا . أما ان كنت أبا بالحقيقة ، فلن يغمض لك جفن ، ان قهرت ابنك وأذللته ، وبات بسببك متعبا ... !

ان الراعي الذى يريد أن يبنى ملكوت الله ، يضع أمامه خلاص أنفس رعيته ، مهما قاسى فى سبيل ذلك ومهما احتمل . أما الذى يريد أن يبنى نفسه ـ وفى الحقيقة هو يهدمها ـ فانه يضع أمامه باستمرار طاعة الناس وخضوعهم . ويظن النجاح كل النجاح فى أ ن يطيعوا وأن يخضعوا !! مهما كانت الأوامر مقنعة أو غير مقنعة ، نافعة أو ضارة !!

الطاعة والخضوع أمران سهلان ، ولكن أهم منهما المحبة والاحترام .

الراعى المحب يقنع أولاده بحكمة أوامره ، كما كان الرب يشرح ويفسر . وطريق الاقناع طويل ، ولكنه أثبت وأنفع . **أما طريق السلطة ، فقصير ومختصر ولكنه خطر وغير ثابت . انه يمكن أن يسير الأمور الى حين ، ولكنه لا يرضى قلب الخاضع ، ولا يخلص نفس الآمر !**

وقد يكسب الراعى خضوع الناس، دون أن يكسب توقيرهم وتقديرهم . وقد ينال احترامهم لوظيفته ، دون شخصه . اما الذين خلدوا فى تاريخ الكنيسة ، والذين سيخلدون فى الملكوت ، فهم الذين وقرهم الناس وأحبهم الله ،لأشخاصهم ، مهما كانت وظائفهم ضئيلة ...

حقوق الأب الروحي وواجباته :

من حق الأب الروحى أن ينال من ابنه فى الرب الطاعة والاحترام كممثل لله على الأرض • ومن واجباته رعاية أولاده روحيا ، وبذل كل جهده من أجل خلاص نفوسهم ، والمواظبة على افتقادهم ومعرفة احتياجاتهم •

ومن واجبه أن يحبهم حتى المنتهى ، كما أحب المسيح خاصته ، وأن يكون رفيقا بهم ، مملوءا بالحنان والعطف ، يحتملهم فى ضعفاتهم ، ويرد الضالين منهم •

ومن واجبه أن يهتم بتعليم أولاده ، فالكتاب يقول « هلك شعبى من عدم المعرفة » (٨٥) • ومن واجب الراعى أن يكون قدوة لأولاده ، وأن يبذل نفسه عنهم •

محبة متبادلة :

اذا خلت الرعاية من المحبة ، فقدت أقوى دعائمها • بدون المحبة التى تربط الأب الروحى بأولاده ، لا يستطيع أن يعمل شيئا لأجل خلاصهم ولفائدتهم الروحية •

بالمحبة يفتحون له قلوبهم ، وبالمحبة يعرف احتياجاتهم الروحية • فتكون خدمته لهم واقعية عملية تتصل بهم عن قرب •

وبالمحبة يقبلون ما ينصحهم به ، وما يقترحه من حلول لمشاكلهم • وبذلك تسهل خدمته • وبالمحبة يمكن للأبناء

(٨٥) هوشع ٤ : ٦

الروحيين أن يقبلوا من أبيهم الروحى التوبيخ والانتهـــار والتأديب ، بل العقوبة أيضا . لأنهم يعلمون أنه ليس بقسوة يعاملهم • فى كل شدة يتخذها ، ان اضطر الى ذلك ، يضعون أمامهم قول الكتاب « أمينة هى جراح المحب » (أم ٢٧:٦) • وبالعكس ان لم يكسب محبتهم ، ينظرون الى تأديبـه نظرة عداء •••

وبالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يكلموا أباهم بصراحة تامة ، حتى النقد لا يخافون من مواجهته به بدالة وباخلاص • عارفين أنه لا يتضـايق من الصراحة ، وأنه قلب كبير يتسع لكل كلامهم ولكل أفكارهم وأيضا لكل ما يحاربهم به العدو نحوه من شكوك • وكما قال الرسول ان المحبة تطرد الخوف الى خارج (ايو ٤ : ١٨) •

أمثلة من سير القديسين :

هذه المحبة وجـدنا لها أمثلة كثيرة فى سير القديسين ، ظهرت فى التفاف الرعية نحو راعيها باستمرار • كما حدث فى التفاف الشعب حـول أبيهم القديس اثناسيوس الرسولى فى كل ضيقاته وفى كل مرة نفى فيها عن كرسـيه • ومن أمثلتها المحبة التىقوبل بها ذهبى الفم • والمحبة التى قوبل بها القديس اغناطيوس أسقف انطاكية الذى عزم شعب رومة على اختطافه حتى لا يلقى طعاما للأسود •••

ومن أمثلة هذه المحبة العجيبة ماتمتع به بولس الرسول من أولاده الذين قال لهم مرة «لأنى أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم

عيونكم وأعطيتمونى » (غل ٤ : ١٥) . هذه المحبة ظهرت فى الوداع المؤثر الذى حدث فى ميليتس حيث يقول الكتاب «وكان بكاء عظيم من الجميع . ووقعوا على عنق بولس يقبلونه، متوجعين ولا سيما من الكلمة التى قالها انهم لن يروا وجهه ايضا » (أع ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨) .

من أعمق كلمات المحبة العاطفية التى تتضح كمثال رائع، ما ورد فى رسالة بولس الرسول الى رومية حيث يقول :

« سلموا على بريسكلا واكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع **اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى** ... سلموا على ابينتوس **حبيبى** الذى هو باكورة اخائية للمسيح . سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا . سلموا على أندرونيكوس ويونياس **نسيبى المأسورين معى** اللذين هما مشهوران بين الرسل ، وقد كانا فى المسيح **قبلى** . سلموا على أمبلياس **حبيبى فى الرب** . سلموا على أوربانوس العامل معنا فى المسيح ، وعلى استاخيس **حبيبى** . سلموا على ابلس المزكى فى المسيح ... سلموا على تريفينا وتريفوسا **التاعبتين فى الرب** سلموا على **برسيس المحبوبة** التى تعبت كثيرا فى الرب . سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى **أمه أمى** ... » (رو ١٦ : ٣ ــ ١٦) .

كثيرون وكثيرات يذكرهم بولس بالاسم بعبارات عاطفية، كم مرة وصفهم بكلمة حبيبى ، وبكلمة المحبوبة ، وشكرهم على تعبهم من أجل الرب ومن أجله ، ووضعهم أعناقهم من أجل حياته ...

انه الحب العجيب الذى يربطهم به ، وبنفس الاسلوب كان يتكلم عن أبنائه المحبوبين من الأساقفة ، مثل تيموثاوس « الابن الحبيب » (٢ تى ١ : ٢) وتيطس « الابن الصريح » (تى ١ : ٤) •

بنفس اسلوب المحبة عاش يوحنا الرسول مع أولاده • يبدأ رسالته الثانية بقوله « الشيخ الى كيريه المختارة والى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » • ويبدأ رسالته الثالثة بقوله « الشيخ الى غايس **الحبيب ، الذى انا احبه بالحق** • أيها الحبيب فى كل شىء أروم أن تكون ناجحا وصحيحا ، كما أن نفسك ناجحة » •

هذه المحبة مع الأبناء الروحيين تعلمها الرسل القديسون من الرب نفسه ، من عظم محبته لأولاده ، من المسيح الحنون المحب الذى بلغ من محبته أن استطاع يوحنا أن يتكىء على صدره ، ويسر أن يلقب نفسه بلقب « التلميذ الذى يسوع يحبه » ، وبلغ من محبته للناس أن استطاعت المرأة الخاطئة أن تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها • وقال الرب عنها ان خطاياها الكثيرة قد غفرت لها لأنها أحبت كثيرا • (لو ٧ : ٤٧)

يسوع الهنا المحب ، الذى أحب خاصته الذين فى العالم ، احبهم حتى المنتهى (يو ١٣ : ١) • ومن أجل الحب بذل ذاته عنهم ، ومن أجل الحب ظهر لهم بعد القيامة يقويهم ويثبتهم فى الايمان • هذا الحب الذى جعل الأطفال يلتفون حوله ، ويهتفون عند دخوله أورشليم ، ونساء كثيرات يتبعنه من

الجليل ويخدمنه (متى ٢٧:٥٥) . هذا الحب الذى جعل بنات أورشليم يبكين عليه (لو ٢٣ : ٢٨) والمريمات يذهبن مبكرات الى قبره .

كان الرب يسوع محبوبا وكان تلاميذه محبوبين ، وكان خلفاؤهم الأساقفة محبوبين . وكان هذا الحب الذى يربط الابوة الروحية بالأبناء هو الدعامة الأساسية للرعاية ...

ان ذكرت اذن كلمة (أب) ينبغى أن تذكر الى جوارها نواحى محبته العملية . أما كلمة أب ـ بدون حب يظهر عمليا ـ فهى مجرد لقب لا روح فيه ولا يدل على شىء . الناس ينتظرون من الآباء الروحيين أن يظهروا أبوتهم بمحبتهم العملية وبحنانهم وعطفهم وقلبهم الكبير .

أما الابوة التى تطلب أكثر ما تعطى . وتوبخ أكثر مما تعزى ، وتجرح أكثر مما تريح ، فانها محتاجة أن تراجع نفسها ، وتسعى لتكسب الحب الذى ليس هو وظيفة رسمية وانما هو حنان وعطف وبذل ...

احترام القديسين وتوقيرهم :

ان اكرام الآباء ينطبق أيضا على القديسين الذين رقدوا، سواء منهم الآباء الشهداء ، أو ابطال الايمان ، أو قديسو البرارى والرهبنة ، أو الآباء الرعاة ...

وهؤلاء نكرمهم ببناء الكنائس على اسمائهم، وباقامةالأعياد لهم ، وبذكرهم فى تسابيحنا وصلواتنا ، وبنشر سيرتهم العطرة وسط الناس ، وقراءتها فى سنكسار اليوم على

المصلين ، وبالاحتفاظ بأيقوناتهم فى كنائسنا وبصورهم فى بيوتنا ...

ونكرم القديسين أيضا بأطلاق أسمائهم على أبنائنا . وعلى جمعياتنا ومجلاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا . ونكرمهم بدوام تذكرهم والاستشفاع بهم ، كما نكرمهم بالاهتمام بأجسادهم وعظامهم .

ونكرم القديسين بالأكثر باتباع تعاليمهم وبنشرها ، والاقتداء العملى بحياتهم .

غير اننا شعب مقصر جدا فى اكرام القديسين . يكاد يكون كل احتفالاتنا بثلاثة من القديسين هم السيدة العذراء والملاك ميخائيل ومار جرجس . أما باقى القديسين والقديسات فاكرامنا لهم محدود جدا وضئيل . وكمثال لذلك نقول انه فى سنة ١٩٥٦ كان تذكار مرور ١٦٠٠ سنة على نياحة القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب جميع الرهبان فمن أحس بذلك التاريخ . كذلك تذكار مرور ١٩٠٠ سنة على استشهاد القديسين بطرس وبولس الرسولين اللذين استشهدا على أغلب الروايات سنة ٦٧ م فى عهد نيرون .

نشكر الله اننا سنحتفل بعيد مار مرقس هذا العام ، جعله الرب عيدا سعيدا للكنيسة كلها ...

أبوّة السنّ، واحترام الشيخوخة

هناك من هو فى مركز ابيك من جهة القرابة الجسدية، وعليك أن تحترمه وتوقره. وهناك من هو فى مركز ابيك من جهة السن، وعليك أيضا أن تحترمه وتوقره. وعلى العموم ينبغى أن تحترم من هم أكبر منك سنا...

نرى مثلا لاحترام السن وتوقير الشيوخ فى قصة أيوب الصديق. كان لأيوب ثلاثة أصحاب هم اليفاز وبلدد وصوفر. وكان هناك صديق رابع اسمه اليهو. وظل الثلاثة يناقشون أيوب ٢٨ اصحاحا، واليهو صامت، يسمع وهو ساكت، لأنهم أكبر منه سنا. وأخيرا عندما فشلوا فى نقاشهم، اضطر اليهو أن يتدخل...

وبدأ اليهو كلامه بقوله « أنا صغير فى الأيام وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيى. قلت الأيام تتكلم وكثرة السنين تظهر حكمة » (٨٦).

نستطيع أن نأخذ من هذا الموقف تعليما، أن الصغير ينبغى أن يصمت وسط الكبار. يجلس ليسمع ويفهم ويتعلم. وهذا موجود فى أنظمة الرهبنية، حيث لا يجوز للراهب المبتدىء أن يتكلم فى مجمع الشيوخ.

---

(٨٦) أى ٣٢ : ٦، ٧

لذلك قيل : لا تلق بكلمتك وسط الكبار ۰ وان سئل شخص كبير ولم يعرف ، فالأدب يمنع الصغير من أن يقول الاجابة وان كان يعرفها ۰ لا يصح للصغير أيضا أن يرفع صوته في وجه من هو أكبر منه ، بل يكلمه باحترام ۰

بولس الرسول نفسه قال لتلميذه القديس تيموثاوس الأسقف ـ وكان صغير السن ـ منبها الى احترام الشيوخ ، **لا تزجر شيخا ، بل عظه كأب** ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ... » (٨٧) فان كان تيموثاوس الأسقف ، مفروض فيه أن يعامل الشيوخ كآباء والعجائز كأمهات فبالأولى الفرد العادى من الشعب ۰۰۰

ونفس هذا الاحترام سلك به بولس نفسه نحو العجائز . فقال في رسالته الى روميه (٨٨) « سلموا على روفس المختار في الرب ، وعلى أمه أمي » ۰ فسماها أمه مع أنها من الناحية الروحية تعتبر من بناته ۰

وهكذا من جهة السن أيضا أعتبر مرقس الرسول أبنا لبطرس ۰ فقال عنه « مرقس أبنى » (٨٩) ۰

لقد دعانا الرب أن نتخذ المتكأ الأخير في الولائم (٩٠) ۰ هذا المتكأ الأخير ينبغي أن نتخذه مع كل من هو أكبر منا ۰ قال الكتاب «من أمام الأشيب تقوم، وتحترم وجه الشيخ»(٩١).

---

(٨٧) ١ تى ٥ : ١ ، ٢ (٨٨) رو ١٦ : ١٣
(٨٩) ١ بط ٥ : ١٣ (٩٠) لو ١٤ : ١٠
(٩١) لا ١٩ : ٣٢

لا يصح أن تجلس ، وشخص أكبر منك واقف . ولتكن جلستك مهذبة أمام من هو أكبر منك . لايصح أيضا أن تجلس وتعطى ظهرك لمن هو أكبر منك .

وان كنت سائرا مع شخص أكبر منك . وهو يحمل حملا ، فأحمله بدلا منه ... وهكذا احترم الكبار فى اسلوبك أيضا فى الكلام ، وفى كل شىء قدمهم على نفسك .

كل هذا عن الاحترام ، أما عن الطاعة ، ففى حياتك الروحية تطيع أباك الروحى ومن تكون عنده المعرفة والحكمة بغض النظر عن السن ، فقد يوجد شيوخ مخطئون وأمثلتهم كثيرة فى الكتاب (٩٢) . وقد يوجد شباب حكماء كيوسف ودانيال واثناسيوس الرسولى ...

---

(٩٢) امل ٢ : ٦ ، ٩ و أى ٣٢ : ٩ و يو ٨ : ٩ و مز ١١٩ : ١٠٠ و جا ٤ : ١٣

أبوة المركز ، واحترام المعلمين والرؤساء

ابوة المركز والرعاية والمسئولية وضحها الكتاب المقدس في مسسباب عديدة • فمن جهة الرعاية ، قال أيوب الصديق « أب أنا للفقراء ، ودعوى لم أعرفها فحصت عنها » (٩٣) ولما تولى يوسف الصديق حكم مصر والاشراف على بيت فرعون ، قال ان الله « قد جعلنى أبا لفرعون وسيدا لكل بيته » (٩٤) • كذلك فان عبيد نعمان السريانى ـ عندما تضايق من الاغتسال فى الأردن ليبرأ ـ قالوا له « يا أبانا ، لو قال لك النبى أمرا عظيما ، أما كنت تفعله » (٩٥) فدعوه « أبانا » من جهة المركز •

ولعله من هذا القبيل ، قال داود لشاول الملك « أنظر يا أبى أنظر أيضا طرف جبتك بيدى » (٩٦) ، تعبيرا تمتزج فيه ابوة المركز بأبوة السن •••

من هذه الناحية تنطبق الوصية الخامسة على الرؤساء ، وعلى المعلمين ، وكل من لهم رعاية وأشراف على الانسان •

---

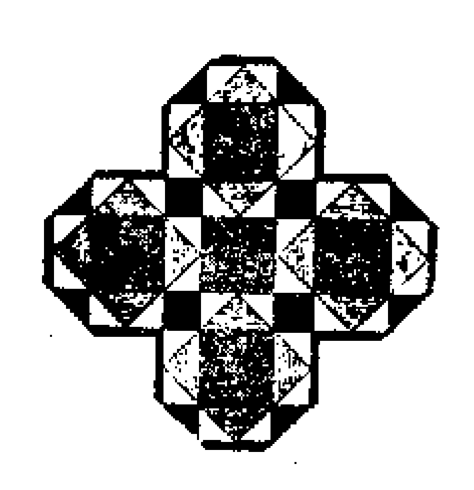
(٩٣) أى ٢٩ : ١٦ (٩٤) تك ٤٥ : ٨

(٩٩) ٢ مل ٥ : ١٣ (٩٦) ١ صم ٢٤ : ١١

فالطالب الذى لا يكرم مدرسه أو لا يطيعه أو يشاغب فى فصله ، أو يكسر قوانين المدرسة ، انما يكسر الوصية الخامسة . وبالمثل الموظف الذى لا يطيع أوامر رؤسائه الرسمية ، والمواطن الذى لا يطيع نظم الدولة .

من هنا نرى الاتساع الكبير الذى شملته وصية « اكرم أباك وأمك » .

أما طول الأيام على الأرض ، فقد تؤخذ بالمعنى الحرفى أى طول الأعمار ، أو قد تؤخذ بشىء من التأمل عن الأبدية فى « أرض الأحياء » (٩٧) .



(٩٧) مز ٢٧ : ١٣

محتويات الـكتاب

رقم الايداع ٢٥٨٦ سنة ١٩٧٧